

University of Kerala
MA Arabic - Previous
Paper II - Classical Arabic Literature

Edited by

Dr. E. ABDUL LATHEEF
Asst. Professor
University College
Thiruvananthapuram

MA Previous

Paper I - Classical Literature

الأدب الكلاسيكي

الأدب الجاهلي: وكلمة أدب في الجاهلية كانت تعني الدعوة إلى الطعام و الرسول ﷺ كان يعني بها التهذيب والتربية . ففي الحديث الشريف "أدبني ربي فأحسن تأديبي" . و في العصر الأموي كانت يتصف الأدب بدراسة التاريخ والفقه والقرآن والحديث و تعلم المأثور من الشعر والنثر. و استقل الأدب في العصر العباسي. و أخذ مفهوم كلمة الأدب يتسع ليشمل علوم البلاغة واللغة. في العصر العباسي الثاني عن النحو واللغة ، واهتم بالمأثور شرحا وتعليقا . و حاليا تعني كلمة الأدب الكلام الإنشائي البليغ ، الصادر عن عاطفة، و المؤثر في النفوس وفي عواطف القاريء و السامع له.

الأدب هو الكلام البليغ ، الصادر عن عاطفة ، المؤثر في النفوس .

أركانه: العاطفة ، الأفكار ، الألفاظ والتراكيب، الخيال .

والغرض من دراسته:- إستماع النفوس بفتة الجميل، واستفادة العقول من تجاربه العظيمة ، وتعود من تدريبه على الكلام البليغ.

تاريخ الأدب العربي هو التاريخ لنشأته وتطوره و العصور التاريخية التي ألمت به . ويتضمن أهم أعلامه من الشعراء والكتاب . كما يتناول الأغراض الأدبية كالنثر والشعر ، ومنهما القصة، والمسرحية والمقامة والمقال و الظواهر الأدبية، كالنقائض والموشحات وأسباب الهبوط والصعود والإندثار . ويضم سيرة الشعراء و أخبار و طرائف الأدباء.

و يمكن تقسيم تاريخ الأدب العربي تبعا للعصور التي توالى عليه بدءا بالعصر الجاهلي ثم العصر الإسلامي اللاحق و حتي الآن. وقد حدده المؤرخون العصر الجاهلي بمئه وخمسين سنة قبل بعثة النبي (عليه الصلاة والسلام) وليس معني ذلك أن تلك الفترة هي كل العصر الجاهلي، فالواقع أن العصر الجاهلي أطول من ذلك كثيرا، لكن الأدب الذي وصل إلينا عاش أصحابه قبل الإسلام بقرن ونصف قرن فقط، وضاع أدب السابقين عليهم؛ لأن العصر الجاهلي لم يكن عصر تدوين، فقد كان الاعتماد علي الحفظ والرواية جيلا بعد جيل.

العصر الأول عصر الجاهلية

حالة اللغة وآدابها في ذلك العصر:

لغة العرب من أغنى اللغات كلما، وأعرقها قدماً، وأوسعها لكل ما يقع تحت الحس، أو يجول في الخاطر: من تحقيق علوم، و سن قوانين وتصوير خيال، وتعيين مرافق: وهي على هندمة وضعها، وتناسق أجزائها لغة قوم أميين، ولا عجب أن بلغت تلك المنزلة، من بسطة الثروة، وسعة المدى إذا كان لها من عوامل النمو، ودواعي البقاء والرقي، ما قلما يتهيأ لغيرها وما رواه لنا منها أئمة اللغة وجاء به القرآن الكريم والحديث النبوي هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب ولا شك في أن من أسباب

امتزاج هذه اللغات ما يأتي: 1 هجرة القحطانيين إلى جزيرة العرب ومخالطتهم فيها العرب البائدة باليمن ثم تمزقهم في بقاع الجزيرة كل ممزق بظلمهم وتخرب بلادهم بسيل العرم. 2 هجرة اسماعيل عليه السلام إلى جزيرة العرب واختلاطه وبينه بالقحطانيين بالمصاهرة والمجاورة والمحاربة والمتاجرة: وأظهر مواطن هذا الامتزاج مشاعر الحج والأسواق التي كانت تقيمها العرب في أنحاء بلادها، ومن هذه الأسواق عكاظ ومجنة وذو المجاز.

وأهمها سوق عكاظ: وكانت تقام من أول ذي الععدة إلى اليوم العشرين منه. وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة وبقيت إلى ما بعد الإسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة. وكان يجتمع بهذه السوق أكثر أشرف العرب للمتاجرة، ومفاداة الأسرى والتحكيم في الخصومات وللمفاخرة بالشعر والخطب في الحسب والنسب والكرم والفصاحة والجمال والشجاعة وما شاكل ذلك. وكان من أشهر المحكمين بها في الشعر النابغة الذبياني. ومن أشهر خطبائها قس بن ساعدة الإيادي. وقد لهج الشعراء بذكرها في شعرهم. وحضرها منهم الرجال والنساء.

ينقسم كلام العرب قسمين:

الشعر : (وهو الكلام الموزون المقفى الذي يصور العاطفة) و النثر : (هو كلام مُرسل لا يتقيد بالوزن) النثر المحادثة الخطابة الكتابة.

الأصل في الكلام أن يكون منثوراً: لإبانته مقاصد النفس بوجه أوضح وكلفة أقل وهو غما حديث يدور بين بعض الناس وبعض في إصلاح شؤون المعيشة. واجتلاب ضروب المصالح والمنافع وذلك ما يسمى (المحادثة) أو "لغة التخاطب". وإما خطاب من فصيح نابه الشأن يلقى على جماعة في أمر ذي بال. وهذا ما يسمى "الخطابة". وإما كلام نفسي مدلول عليه بحروف ونقوش لإرادة عدم التلفظ به. أو لحفظه للخلف. أو لبعد الشقة بين المتخاطبين. وذلك ما يسمى (الكتابة). إذن فأقسام النثر ثلاثة. محادثة. خطابة. وكتابة وكلها إما أن تكون كلاماً خالياً من التزام التقفيه في أواخر عباراته: وذلك ما يسمى "النثر المرسل" وإما أن تكون قطعاً ملتزماً في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافية واحدة. وهذا ما يسمى "السجع" وهو نوع من الحلية اللفظية إذا جاء عفواً ولم يعتمد التزامه. ولحسن وقعه في الأسماع. وحوكه وتأثيره في الطباع كان أكثر ما يستعمل في الخطابة. والأمثال. والحكم. والمفاخرات. والمنافرات. المحادثة أو لغة التخاطب

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحدت لغاتها هي اللغة المعربة المستعملة في شعرها وخطبها وكتابتها. ولا فرق بينها في البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة: من نبالة الموضوع والتأنق في العبارة. وأكثر ما وصل إلينا منها كان شريف المعنى. فصيح اللفظ.

أما الشعر: وهو الأسلوب الذي يصور به الشاعر عواطفه وإحساسه معتمداً على موسيقى الكلمات ووزنها، وعلي عنصر الخيال والعاطفة.

أما النثر: فيقوم على التفكير والمنطق ولا يعتمد على وزن أو قافية، ولذلك يمكننا أن نقول: "إن الشعر مظهر الوجدان والنثر مظهر العقل والثقافة" ولذلك الشعر أسبق من النثر الفني لأن الشعر يقوم على الخيال والعاطفة، أما النثر الفني فيقوم على التفكير والمنطق، والخيال أسبق في الوجود من التفكير والمنطق.

الشعر

وله أربعة أنواع .هي :

الشعر الغنائي : وهو القصائد الشعرية التي تطرق غرضاً من الأغراض ، مثل : المدح والهجاء والثناء والفخر والغزل والحكمة .

الشعر القصصيّ أو الملحميّ : هو الذي يروي سيراً و بطولات تاريخية ، وهذا النوع قليل في الشعر العربي وكثير في الشعر الأجنبي .

الشعر التمثيليّ أو المسرحيّ : هو الذي يُكتَب ليُقال على المسرح على لسان شخصيات ناطقة ، وهو أيضاً قليل في الشعر العربي وكثير في الشعر الأجنبيّ .

الشعر التعليمي : هو الذي ينظم فيه الشاعر علماً من العلوم ، ليسهل حفظه . ولا يعد من الأدب، لأنه يفقد ركنين من أهم أركان الأدب وهما : العاطفة والخيال .

الوحدة الأولى

القسم الأول: الشعر الجاهلي

نشأتها وتطورها:

فالشعر الجاهلي صور لنا الحياة الجاهلية قبل الإسلام بواقعية حياة البادية بقسوتها ولينها. ولم يكن الأدب الجاهلي يميل إلى اساطير الأولين كأدب الإغريق رغم أن الإغريق كانوا متبدين في صحراواتهم وجبالهم كما كان العرب في بداوتهم. لكن الإغريق كانوا منعزلين في جزرهم. والعرب كانوا رحلا وعلي صلة بحضارات فارس ومصر واليمن سواء من خلال سعيهم الرعوي وراء الماء والكلاً أو في رحلاتهم في تجاراتهم الصيف والشتاء .

الشعر الجاهلي هو كل ما سبق بعثة النبي من نتاج شعري او نثري أو أدبي ، وبالنسبة للشعر الجاهلي فلا يعرف بالتحديد. لقد اجتهد الباحثون وعلماء اللغة لتحديد كيفية بداية الشعر العربي في العصر الجاهلي، فمنهم من قال أن الشعراء كانوا يسمعون وقع خفاف الإبل على الأرض فحالفوا تقليدها إلى أن أنشأوا ما يعرف بالأوزان الشعرية وقد ساعدهم في ذلك سوق الأبل (الهداء) ، كما أن هناك رأياً لفريق آخر يقول أن أصل الشعر ومبده هو السجع ثم تطور إلى بحر الرجز ومن ثم نشأت البحور الشعرية الأخرى ، وفريق آخر أيضاً يقول أن أصل الشعر العربي هو الغناء إذ أن العربي في صحرائه يحتاج إلى الترانيم والغناء ، فيأخذ أجزاء منتظمة من الكلام يتغنى بها إلى تطور الأمر حتى أصبح الشعر موزوناً ومقفى والخلاصة من هذا كله

فالشعر في الجاهلية من أقدم آدابها، والأمثال كانت جزءاً مهماً من آدابها ، و قد نظم في شتى موضوعات الحياة ، وكان شعرهم ينبع من سجيتهم . ولم يكن يعرفون العروض والقوافي والأوزان كما نعرفها في علم العروض ولكنهم كانوا يتبعونها بالسليقة التي جبلوا عليها . واعتقدوا أن للشعر شيطانا يوحى لهم بأشعارهم . عندما يمتلكهم ينساب الشعر من أفواههم ارتجالاً .

أن الشعر الجاهلي يعد عند العرب ذلك الأثر العظيم الذي حفظ لنا حياة العرب في جاهليتهم ، وإذا كانت الأمم الأخرى تخلد مآثرها بالبنيان والتشييد فإن العرب يعولون على الشعر الجاهلي الذي يرون أنه حفظ لهم تلك المآثر ونقلها إلى الأجيال التي تبعتهم ، يقول ابن سلام الجمحي ، وهو عالم النقد والأدب الشهير

في كتابه طبقات فحول الشعراء : (وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون)

وقد استدل علماء اللغة والأدب على أن الشعر العربي وجد قبل الشعر الجاهلي الذي يعد أول ما وصلنا من نتاج العرب الشعري بأدلة كثيرة سنكتفي بدليل واحد منها ، وهو قول امرؤ القيس مثلاً:

عُوجًا على الطلل المُحيل لعننا نَبْكي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حِذَامِ

ووجه الدليل عندهم أن بكاء الديار والأطلال في زمن امرؤ القيس ليس بجديد فقد بكأها شعراء من قبله منهم ابن حذام الذي هذا امرؤ القيس حذوه في ذلك ، وابن حذام الذي يذكر بعض المؤرخين أنه من قبيلة طيء لم يصل إلينا من نتاجه الشعري شيء .

شكل القصيدة الجاهلية:

تبدأ القصيدة الجاهلية بذكر الأطلال ثم وصف الخمر وبعدها ذكر الحبيبة، ثم ينتقل الشاعر إلى الحماسة والفخر ...

كانت القصيدة تتكون من 25 – 100 بيت . وكان الشاعر عامر الحلطي يبدأ قصيدته بوصف الديار والأطلال ويصف فيها محبوبته وجمله ومغامراته . لأن العرب ارتبطوا بأرضهم وقبيلتهم . وكان الإرتحال في القوافل التجارية في رحلتي الشتاء والصيف أو في الهجرات وراء الماء والكلأ إلى مدى لا يُعرف ولاسيما ولو كان للمكان ذكرى حلوة، تجعل الشعراء يحنون لأوطانهم وضروب قبائلهم . وهذا الحنين جعل الشعراء الجاهليين يبدأون قصائدهم بالهجران لديارهم ومضاربهم ودروبهم ومسالكهم . وصوروا في شعرهم حيواناتهم في صور شتي . وخلف لنا الشعر الجاهلي المعلقة السبع الشهيرة والتي تعتبر من روائع الشعر العربي الجاهلي. و كانت تعلق فوق ستر الكعبة تكريما للشعراء وتقديرا لهم.

أن من أسباب خلود المعلقة أن كلاً منها تشبع غريزة من غرائز النفس البشرية. فنري حب الجمال في معلقة امرئ القيس، و الطموح وحب الظهور في معلقة طرفة، والتطلع للقيم في معلقة زهير، وحب البقاء والكفاح في الحياة عند لبيد، والشهامة والمروءة لدى عنتره، والتعالي وكبرياء المقاتل عند عمرو بن كلثوم، والغضب للشرف والكرامة في معلقة الحارث ابن حلزة

مصادر الشعر الجاهلي ومراكزه:

المعلقة ، والمفضليات ، والأصمعيات ، وحماسة أبي تمام ، ودواوين الشعراء الجاهليين ، وحماسة البحتري ، وحماسة ابن الشجري ، وكتب الأدب العامة ، وكتب النحو واللغة ومعاجم اللغة ، وكتب تفسير القرآن الكريم

والذين وضعوا الأدب الجاهلي فهم من عرب شبه الجزيرة العربية لكنهم لم يكتبوا سوي المعلقة وكان يروي شفاهة مما كان يعرضه للإندثار والتحريف والتبديل والخلط . والأدب العربي سمي بالعربي لأنه كتب باللغة العربية إبان العصر الإسلامي . وكان انتشاره بسبب انتشار الإسلام بالقرن السابع .

مراكز الشعر العربي:

أما مراكز الشعر العربي في العصر الجاهلي فإنه بالإضافة الى الجزيرة العربية نفسها نجداً والحجاز

فقد عاش الشعر العربي وازدهر في إمارتين اثنتين هما : إمارة الغساسنة في بلاد الشام والمناذرة في العراق ، في الأطراف الشمالية من شبه الجزيرة العربية.¹

وقد اشتهرت في الجاهلية أسرة كاملة بقول الشعر . فالنعمان بن بشير ، مثلاً كان أبوه وعمه شاعرين ، كذلك جده ثم أولاده من بعده ، وكعب بن مالك الصحابي الشاعر كان أبوه وعمه شاعرين . ثم أبنائه وأحفاده ، وكذلك كان بيت أبي سلمى ومنه زهير وولده كعب وبجير وأخوال كعب شعراء ومنهم بشامة ابن الغدير . ثم هناك حسان بن ثابت الصحابي الشاعر وقد تسلسل الشعر في بيته لبضعة أجيال.

عرف التاريخ الشعر العربي في العصر الجاهلي نساء شواعر منهن على سبيل المثال: الخنساء وخرنق كبشة أخت عمرو بن معدى كرب وجليلة بنت امرأة كليب الفارس المشهور ولها في كليب مرث من عيون الشعر العربي وقيسة بنت جابر امرأة حارثة بن بدر ولها أيضاً مرث في زوجها وأميمة امرأة بن الدمينة وقد كان أبو نواس الشاعر العباسي يروي لستين شاعرة من العرب.

والناظر في المصادر العربية تهوله تلك الكثرة من الأشعار والشعراء خاصة إذا ضم إليها ماجاء في كتب التاريخ والسير والمغازي والبلدان واللغة والنحو والتفسير إذ تزخر كلها بكثير من أشعار الجاهليين بما يوحي أن الشعر كان غذاء حياتها، موهوبة من الشاعرية الفذة ما يجعل الشاعرية فطرة فيهم وساعدهم على هذه الفطرة الشاعرة الطبيعة التي عاش العربي مع دقائقها من جبال ومهاد ووديان وسماء ونجوم وأمطار وسيول وكائنات ، وحياة العربي في بساطتها وفضائلها مع المعانات والصراعات ضد الجذب والخوف معا. فصار الشعر ممثلاً لحياة الجزيرة العربية في بيناتها وأحوالها المختلفة حتى صار الشعر الجاهلي ديوان العرب.

أغراض الشعر الجاهلي

ومن أهم أغراض الشعر الجاهلي من النوع الأول (الشعر الغنائي): منها:

أ- الفخر والحماسة :-

الحماسة لغة تعني : القوة والشدة والشجاعة .ويأتي هذا الفن في مقدمة أغراض الشعر الجاهلي، حيث يعتبر من أصدق الإشعار عاطفة .

ب- الغزل :-

وهو الشعر الذي يتصل بالمرأة المحبوبة المعشوقة .والشعر هنا صادق العاطفة ،وبعضه نمط تقليدي يقلد فيه اللاحق السابق .

1 وقد كان الغساسنة عربياً من الجنوب نزحوا إلى الشمال وأقاموا إمارتهم العربية تلك في شرق الأردن في قرن الرابع الميلادي ، وقد كانت إمارة الغساسنة على جانب كبير من الثراء والتحضر ، ومن أهم ملوكهم الحارث الأصغر ، ثم ابنه من بعده النعمان وعمرو ، والأخير هو الذي قصده النابغة الذبياني ، كما قصد حسان بن ثابت النعمان بن المنذر أيضاً ومدحه في قصائد شهيرة ، منها قصيدته التي من أبياتها: أولاد جفنة حول قبر أبيهم — — — — — قبر ابن مارية الكريم المفضل

ازدهر الشعر الشعبي إبان الجاهلية ازدهاراً عظيماً تمثل في هذا العدد الكبير من الشعراء الذين تزخر المصادر بأسمانهم وأشعارهم إذ نظموا في جاهليتهم الأخيرة قبل الإسلام كثيراً من الشعر . ومع هذا فقد ضاع معظم هذا الشعر ، على حد قول أبي عمرو بن العلاء : " ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا قلة ، ولو جاءكم وأفرا لجاءكم علم وشعر كثير . "

ج- الرثاء :-

وهو الشعر الذي يتصل بالميت . وقد برعت النساء في شعر الرثاء . وعلى رأسهن الخنساء ، والتي أشتهرت بمراثيها لأخيها صخر .

د- الوصف :-

اقت تأثر الشعراء الجاهليون بكل ما حولهم ، فوصفوا الطبيعة ممثلة في حيوانها ، ونباتها .

هـ- الهجاء :-

فن يعبر فيه صاحبه عن العاطفة السخط والغضب تجاه شخص يبغضه .

خصائص الشعر الجاهلي :-

أ- الصدق في التعبير . (الأصالة) : كان الشاعر يعبر عما يشعر به حقيقة مما يختلج في نفسه بالرغم من أنه كان فيه المبالغة، مثل قول عمرو بن كلثوم .

ب- البساطة: انّ الحياة الفطرية والبدوية تجعل الشخصية الإنسانية بسيطة، كذلك كان أثر ذلك على الشعر الجاهلي

ت- القول الجامع : كان البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامّة، فمثلاً قالوا في امرئ القيس بقصيدته «قفنا نبك» أنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد .

ث- الإطالة : كان يُحمد الشاعر الجاهلي أن يكون طويل النفس، أي يطيل القصائد وأحياناً كان يخرج عن الموضوع الأساسي، وهذا يسمّى الاستطراد .

ج- الخيال : هو أنّ اتساع أفق الصحراء قد يؤدي إلى اتساع خيال الشاعر الجاهلي . يصور البيئة الجاهلية خير تصوير

ح- يكثر التصوير في الشعر الجاهلي .

خ- يتميز بالواقعية والوضوح والبساطة .

د- يكون منظم في الأفعال .

خصائص الألفاظ :

أ- تميل إلى الخشونة والفخامة .

ب- خالية من الأخطاء ، والألفاظ الأعجمية لأنهم لم يختلطوا بغيرهم .

ت- تخلو من الزخارف والتكلف والمحسنات المصنوعة .

ث- تميل إلى الإيجاز .

خصائص المعنى :

أ- تخلو من المبالغة الممقوتة .

ب- بعيدة عن التعقيد .

ت- غالباً تقوم على وحدة البيت لا وحدة القصيدة .

ث- منتزعة من البيئة البدوية .

ج- الاستطراد .

خصائص الخيال:

أ- واسع يدلّ على دقة الملاحظة .

ب- صور الشعر الجاهلي تمثل البيئة البدوية .

ت- صور الشعر الجاهلي ليست متكلفة .

منزلة الشاعر:

كانت للشاعر العربي في قبيلته منزلة رفيعة ، كما كانت زموز القبيلة العربية الأساسية ثلاثة: القائد، والفارس ، والشاعر. وكان الشاعر في القبيلة لسانها الناطق والمدافع معا. حتى كان بيت الشعر أحيانا يرفع درجة القبيلة، حتى صارو يباهون بلقبهم ونسبهم.

فالأدب الجاهلي كان متأثرا بالحياة القبلية و العصبية والإجتماعية والعقائدية في الجاهلية. لهذا نجد أهم أغراض الشعر الجاهلي كما في المعلقات ودواوين شعراء الجاهلية هي الفخر. أما الهجاء كان سلاحاً ماضياً في قلوب الأعداء فهم يخافون القوافي والأوزان أكثر من الرماح والسنان. والهجاء المقذع أكثر من التهديد بالقتل. وكان الشاعر في كل قبيلة المتحدث الرسمي باسمها والمدافع عنها و المعدد لمناقبتها ومدعاة لفخرها وافتخاره بها في قصائده التي كانت تروي شفاهة عنه ولاسيما التي كانت تتناول أيام العرب و معاركهم.

المعلقات

تحتلّ المعلقات المقام الأوّل بين قصائد الجاهلية. هي قصائد طوال من أجود ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي. وقد زعم ابن عبد ربّه وابن رشيق وابن خلدون أنّها سبع قصائد، فكتبت بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة، وسمّيت بـ: المعلقات تارةً والمذهّبات تارةً أخرى، وسمّيت بالسبع الطوال ثالثة وأيضاً بالسموط .

قيمة الشعر الجاهلي :

1- القيمة الفنيّة : وتشمل المعاني والأخيلة والعاطفة والموسيقى الشعرية، حيث نظم الشاعر الجاهلي أكثر شعره على أوزان طويلة التفاعيل .

2- القيمة التاريخية: كان الشعر وسيلة نقل معاناة الناس وشكواها إلى السلطة، فالشعر الجاهلي يعتبر وثيقة تاريخية بما يخصّ أحوال الجزيرة وأحوال العرب الاجتماعية

وقد ذهب الرواة إلى أنّ أوّل قصيدة نالت إعجاب المحكمين في سوق عكاظ هي معلقة امرئ القيس .

طبقات الشعراء:

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع: 1 طبقة الجاهلين.

2 طبقة المخضرمين (وهم الذين اشتهروا بقول الشعر في الجاهلية والإسلام).

3 طبقة الإسلاميين، وهم الذين نشؤوا في الإسلام ولم تفسد سليقتهم العربية، وهم شعراء بني أمية.
 4 طبقة المولدين، أو المحدثين، وهم الذين نشؤوا زمن فساد العربية وامتزاج العرب بالعجم، وذلك من عصر الدولة العباسية إلى يومنا هذا.
 والشعراء الجاهليون يقسمون باعتبار شهرتهم في الشعر للإجادة أو للكثرة إلى طبقات كثيرة نذكر منها ثلاثاً:

1 الطبقة الأولى: امرؤ القيس، وزهير، والنابغة.

2 الطبقة الثانية: الأعشى، وليبد، وطرفة.

3 الطبقة الثالثة: عنتره، وعروة بن الورد والنمر بن تولب، ودريد بن الصمة، والمرقس، الأكبر. ومن الأدباء من يقدم بعض هؤلاء على بعض ويزيدون غيرهم عليهم.

أهم شعراء المعلقات:

1- امرؤ القيس الكندي:

لُقّب بالملك الضليل، ، وذو القروح، توفي سنة 540م . (أنظر الدراسة الخاصة)

2- زهير بن أبي سلمى

هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، ثالث فحول الطبقة الأولى من الجاهلية، وأعفهم قولاً، وأوجزهم لفظاً، وأغزرهم حكمة، وأكثرهم تهديباً لشعره نشأ في غطفان وإن كان نسبة في مزينة، كمن بيت جل أهله شعراء: رجالاً ونساءً ت واختص زهير بمدح هرم بن سنان الذبياني المري وأول ما أعجبه من أمره وجب إليه مدحه حسن سعيه هو والحارث بن عوف في الصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء بتحملهما دامت القتلى التي بلغت ثلاثة آلاف بعير، وقال في ذلك قصيدته إحدى المعلقات السبع التي أولها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتلثم

ثم تابع مدحه كما تابع هرم عطاءه حتى حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ولا يسأله إلا أعطاه ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً، فاستحيا زهير منه، فكان إذا رآه في ملاً قال: أنعموا صباحاً غير هرم وخيركم استنثيت وكان زهير سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع متديناً مؤمناً بالبعث والحساب كما يظهر من قوله:

فلا تكتنن الله مافي نفوسكم ليخفى ومهما يكتنن الله يعلم

شعره: اتفق أكثر الشعراء على أن زهيراً يفضل صاحبيه امرأ القيس والنابغة. وكان زهير صاحب روية وتعمل تهذيب لما يقول ولا سيما مطولاته، حتى قيل إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويهذبها في أربعة أشهر، ويعرضها على خواصه في أربعة أشهر فلا يظهرها إلا بعد حول.

3- النابغة الذبياني

هو النابغة الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية: أحد فحول شعراء الجاهلية، وزعيمهم بعكاظ وأحسنهم ديباجة لفظ، وجلاء معنى، ولطف اعتذار ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجأة وهو كبير، بعد أن امتنع عليه وهو صغير وهو من أشرف ذبيان إلا أن تكسبه بالشعر غض من شرفه، على أنه لم يتكسب بشعره إلا في مدح ملوك العرب، وكان من أمره في ذلك أنه اتصل بملوك الحيرة ومدحهم وطالت صحبته للنعمان بن المنذر، فأدناه منه إلى وشى به عند النعمان أحد بطانته فغضب عليه وهو بقتله. فأسر إليه بذلك حاجبه عصام، فهرب النابغة إلى ملوك غسان المنافين للمناذرة في ملك العرب، فمدح عمرو بن الحارث الأصغر وأخاه النعمان، غير أن قديم صحبته للنعمان جعله يحن إلى معاودة العيش في ظلاله، فتنصل مما رمي به. واعتذر إليه بقصائد عطف على قلبه، وزعم النابغة طويلاً ومات قبيل البعثة. شعره يمتاز برشاقة اللفظ ووضوح المعنى، وحسن النظم، وقلة التكلف، حتى عد عند المرفقين من الشعراء جرير أنه أشعر شعراء الجاهلية، وأغراه تكسبه بالشعر أن يفتن في ضروب المدح ومن أبلغ شعره معلقته التي أولها:

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وعمر زهير ومات قبل البعثة بسنة ومن حكمه في معلقته:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن عام مافي غد عم

4- الأعرشى الأكبر (أعشى القيس)،

هو أبو نصير ميمون الأعرشى بن قيس بن جندل القيسي نشأ في بدء أمره رواية لخاله المسيب بن علس وقد عمي وطال عمره، حتى كان الإسلام وعظم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بين العرب، فأعد له قصيدة يمدحه بها، وقصده بالحجاز، فلقية كفار قريش وصدّوه عن وجهه على أ، يأخذ منهم مائة ناقة

حمراء ويرجع إلى بلده: لتخوفهم أثر شعره ففعل، ولما قرب من اليمامة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات كافراً، ودفن ببلدته منقوحة باليمامة. وذلك سنة 629م .

شعره: يعد الأعشى رابعاً لثلاثة الفحول: امرئ القيس، والنابغة وزهير وإن كان يمتاز عنهم بغزارة شعره، وكثر ما روي له من الول لجياد وتفننه في كل فن من أغراض الشعر واشتهر من بينهم بالمبالغة في وصف الخمر، حتى قيل: أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب، ولشعره طلاوة وروعة، وليست لكثير من شعره غيره من القدماء ولقوة طعمه وجلبة شعره وسمي صناجة العرب حتى ليخيل إليك إذا أنشدت شعره أن آخره ينشد معك. ولجلالة شعره كان يرفع الوضيع خاملاً، ويخفض الشريف النابه، ومنم الذين رفعت شعر الأعشى المحلق، وقد كان أبا ثمان بنات عوانس: رغبت عن خطبتهن الرجال لفقهن فاستضافه على فقره، فمدحه الأعشى ووه بذكره في عكاظ، فلم يمض عام حتى لم تبق جارية منهن إلا هي زوج لسيد كريم وكان الأعشى يتطرف في شعره وده بعضهم من أصحاب المعلقات، وذكر قصيدته التي يمدح بها الأسود الكندي ومطلعها:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

ومن جيد شعره قصيدته التي أعدها لينشدها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدحه فيها فلم يفز بذلك، وأولها:

ألم تغمض عيناك ليلة أرمدًا وبت كما بات السليم مسهدًا

أراد أن يلتحق بالإسلام فخدعه قومه حيث قالوا له: نعطيك مائة ناقه لكي تؤجل إسلامك إلى السنة القادمة، فوافق، وبعد ستة أشهر توفي أي مات كافراً وذلك سنة 629م .

5- ليبيد بن ربيعة العامري:

الوحيد الذي أسلم، وقال الشعر في العهد الجاهلي والإسلامي حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "أصدق كلمة قالتها العرب كلمة ليبيد".

هو أبو عقيل ليبيد بن ربيعة العامري أحد أشرف الشعراء المجيدين وهو من بني عامر بن صعصعة إحدى بطون هوازن ومضر وأمه عيسية، نشأ ليبيد جواداً شجاعاً فانتكاً، أما الجود فورثه عن أبيه الملقب بربيعة المعترين، وأمى الشجاعة والفتك فهما خصلتا قبليته إذا كان عمه ملاعب الأسنه أحد فرسان مضر في الجاهلية وكان من قبليته وبين بني عيس أخواله عداوة شديدة فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر وعلى العبسيين الربيع بن زياد وعلى العامريين وملاعب الأسنه وكان الربيع مقرباً عند النعمان يؤاكله

وينادمه فأوغر صدره على العامريين فلما دخل وفداهم على النعمان أعرض عند فشق ذك عليهم، وليبد يومئذ صغير يسرح إليهم ويرعاها فسألهم عن خطبهم فاحتقروه لصغره فألح حتى أشركوه معهم فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غداً عند النعمان أسوأ انتقام: بهجاء يجالسه بعده ولا يؤاكله فكان ذلك ومقت النعمان الربيع ولم يقبل له عذراً وأكره العامريين وقضى حوائجهم، فكان هذا أول ما اشتهر به ليبيد، ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطولات، وشهد النابغة له وهو غلام بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته التي أولها:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها

ولما ظهر الإسلام وأقبلت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم جاء ليبيد في وفد بني عامر وأسلم وعاد إلى بلاد وحسن إسلامه، وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر شعر حتى لم يرو له في الإسلام غير بيت واحد هو:

ما عاتب الحرّ الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليسُ الصالح

وبعد أن فتحت الأمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب، واختارها دار إقامة، وما زال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وقد قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة.

شعره: نبغ فيه وهو غلام وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان. ومن جيد شعره وقوه في معلقته مفتخراً بفعاله وقوله وقومه:

إنا إذا التقيت المجامع لم يزل منا لزازٌ عظيمة جشامها

6- طرفة بن العبد البكري:

هو طرفة بن العبد عمرو بن العبد البكري أقصر فحول الجاهلية عمراً ومال إلى قول الشعر الوقوع ه في أعراض الناس، حتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة مع أنه كان يتطلب معروفه وجوده، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة فأصطغنها عليه، حتى إذا ما جاءه هو وخاله المتلمس بتعرضان لفضله أظهر لهما البشاشة وأمر لكل منهما بجائزة وكتب لهما كتابين أحالهما على عامله بالبحرين ليستوفيا منه وبينما هما في الطريق ارتاب المتلمس في صحيفته فخرج على غلام يقرأها له (مضى طرفة) فإذا الصحيفة الأمر بقتله، فألقى الصحيفة وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه وفر إلى ملوك غسان وذهب طرفة إلى عام البحرين وقتل هناك سنة 569م وعمره نحو ست وعشرين سنة. كان أقصرهم عمراً.

شعره: يجيد طرفة الوصف في شعره مقتصراً فيه على بيان الحقيقة بعيداً عن الغلو والإغراق وكذلك كان هجاؤه على شدة وقه ومطلع معلقته:

لخولة أطلالٌ ببرقةٍ ثمهدِ تلوح كباقي الوشم على ظاهر اليد

7- الحارث بن حلزة اليشكري:

وهو الحارث بن حلزة اليشكري البكريّ يتصل نسبه إلى بكر بن وائل ولم يؤثر عنه غي قطع يسيرة وقصيدته المعلقة التي مطلعها:

آذنتنا ببينها أسماء ربّ ثاوٍ يملُّ منه الثواء

وكان أمر هذه المعلقة أن عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس وخذ من كلا الفريقين رهائن من أبناهم ليكف بعضهم عن بعض، وليقيد منها للمعتدي عليه من المعتدي فحدث أن سرح الملك ركباً من تغلب في بعض حاجته، فزعمت تغلب أن الركب نزلوا على ماء لبكر فأجلوهم، وحملوهم على المغازة فماتوا عطشاً، وتزعم بكر أنهم سقوهم وأرشدوهم الطريق فتأهوا وهلكوا وذهب الفريقان تدافعان عند عمرو بن هند وكانت ضلعه مع تغلب فهاج ذلك الحارث بن حلزة وكان في المجلس مستوراً عن الملك بستارة لما فيه من البرص فارتجل قصيدته ارتجالاً يفتخر فيها بقومه وفعالهم وحسن بلائهم عند الملك وعظم أيامهم معه فما أتم قصيدته حتى انقلب الملك إلى جانب البكريين وقرب الحارث من مجلسه.

وعمر بن الحارث طويلاً حتى قيل: إنه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة.

شعره: أكثر الرواة معجبون بارتجال الحارث قصيدته على طولها وإحكامها ومن قوله فيها وهو أوجز وصف للتأهب للارتحال وأوضحه تصويراً للحقيقة.

أجمعوا أمرهم عشاءً فلماً أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

كان أطول الشعراء عمراً، توفي سنة 580م .

8- عمرو بن كلثوم:

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي، وأمه ليلى بنت مهلهل أخي كليب، نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة، وقاد الجيوش مظفراً وأكثر ما كانت فتن تغلب مع أختها بكر بن وائل بسبب حرب البسوس، وكان آخر صلح لهم على يد عمر ن هند أحد ملوك

الحيرة من آل المنذر، ولم تمضِ مدة حتى حدث بين وجوه القبيلتين مشاحة في مجلس عمرو بن هند قام أثناءها شاعر بكر (الحارث بن حلزة اليشكري) وأشد قصيدته المشهورة، وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر، فانصرف ابن كلثوم وفي نفسه ما فيها ثم خطر على نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأمه ليلى بنت مهلهل وأغرى هند أم أن تستخدمها في قضاء أمر، فصاحت ليلى، فثار به الغضب وقتل ابن هند لفي مجلسه، ثم رحل توا إلى بلاده بالجزيرة وأنشد معلقته التي أولها:

ألا هبيّ بصحنك فأصبحينا ولا تبقى خمورَ الأندرينا

ومات قبل الإسلام سنة 600 م .

شعر ه: لم يشتهر إلا بمعلقة الواحدة التي قامت له مقام الشعر الوفير: لحسن لفظها، وانسجام عبارتها، وعلو فخرها ولعل شهرته بالخطابة لا تقل عن شهرته بالشعر: ومن سامي فخره في معلقته:

وقد علم القبائلُ من معدّ إذا قبيب بأبطحها بنينا

9- **علقة الفحل**: كان شاعراً بدوياً، توفي سنة 603 م .

شعراء الفرسان:

نحن نعلم بأنّ شاعر القبيلة هو لسانها الناطق ، وعقلها المفكر ، والمشير بالحقّ والناهي إلى المنكر، فكيف إذا جمع له الشعر والفروسية فهو صورة صادقة لتلك الحياة البدوية، حيث كان يتدرّب على ركوب الخيل، ويشهر سيفه، ويلوح برمحه، فمن هؤلاء الشعراء :

أ- - المَهْلَهْل .

ب- عبد يغوث .

ت- حاتم الطائي .

ث- الفند الزماني .

شعراء الصعاليك:-

جمع صعلوك، وهو لغة الفقير الذي لا مال له. أمّا الصعاليك في عرف التاريخ الأدبي فهم جماعة من شواذ العرب وذؤبانها، كانوا يغيرون على البدو والحضر، فيسرعون في النهب؛ لذلك يتردّد في شعرهم

صيحات الجزع والفقر والثورة، ويمتازون بالشجاعة والصبر وسرعة العدو، وحين نرجع إلى أخبار الصعاليك نجدها حافلة بالحديث عن الفقر، ومن أشهر شعراء الصعاليك:

أ- الشنفرى الأزدي .

ب- تأبط شراً .

ت- عروة بن الورد .

وهناك أفراد من الشعراء في يثرب وغيرها من مدن الحجاز والجزيرة العربية اعتنقوا اليهودية كالسموأل بن عاديا، أو النصرانية كقس بن ساعدة .

السموأل : (وفاء)

هو سموأل بن عاديا صاحب الحصن المعروف، والعرب كانوا ينزلون عند سموأل ضيوفاً لأن سموأل عالي اللهجة وسريع النجدة. وسبب ضرب المثل عند العرب في قولهم «أوفى من سموأل» يعود إلى امرئ القيس التجأ إلى سموأل فأودعه درعه وأسلحته وابنته وذهب إلى القسطنطينية ليستجد بقيصر الروم ويسأله النصر على قتلة أبيه، وفي هذه الأثناء أسر ابن سموأل الذي كان في الصيد من قبل المنذر، فطلب المنذر من سموأل أن يسلم الدرع والسلاح وابنة امرئ القيس وإلا يضرب عنق ابن سموأل، فأبى سموأل ذلك فنقذ المنذر وعيده ومن يطالع على سيرة سموأل يحس شرفاً وإباءً بالإضافة إلى اندفاعه إلى المجد والفخر، وله قصيدة لامية مشهورة، يدعو إلى الأخذ بالمتعة والحياة دون التفكير فيها ولا في آلامها.

القسم الثاني

النثر في العصر الجاهلي

النثر : هو كلام مُرسل لا يتقيد بالوزن . وله خمسة أنواع .

هي : الخطابة ، الرسالة ، المقالة ، القصة ، المسرحية .

النثر الجاهلي:

إن ما روي من النثر الجاهلي قليل بالنسبة لما روي من الشعر وذلك للأسباب الآتية:

سهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي.

الاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها.

ج- كان العرب لم يدونوا آثارهم الأدبية لتفشي الأمية والامانة بينهم وإعتمادهم علي الحفظ والرواية، ومع ذلك وصل إلينا من النثر قدر يكفي لإستنباط خصائصه الفنية.

فنون النثر الجاهلي وخصائصه:

الخطابة.

الوصايا.

الامثال

الحكم.

سجع الكهان

وسنتناول كل فن وأهم خصائصه الفنية فيما يلي:-

الخطابة.

وهي من أقدم فنون النثر، لأنها تعتمد علي المشافهة، لأنها فن مخاطبة الجمهور بأسلوب يعتمد علي الاستمالة وعلي اثاره عواطف السامعين، وجذب انتباههم وتحريك مشاعرهم، وذلك يقتضي من الخطيب تنوع الاسلوب، وجودة الالقاء وتحسين الصوت ونطق الإشارة. أما الإقناع فيقوم علي مخاطبة العقل، وذلك يقتضي من الخطيب ضرب الأمثلة وتقديم الأدلة والبراهين التي تقنع السامعين.

ا - للخطبة أجزاء ثلاثة هي (المقدمة – والموضوع – والخاتمة)

ب- أهداف الخطبة: الإفهام والإقناع والإمتاع والإستمالة.

ج - خصائص أسلوب الخطبة:

وضوح الفكرة . 2- جودة العبارة وسلامة ألفاظها. 3- الإكثار من السجع غير المتكلف. 4- التنوع في الاسلوب بين الخبري والانشائي. 5- قلة الصور البيانية.

د- أسباب ازدهار الخطبة في العصر الجاهلي:

ازدهرت الخطبة لاكتمال عوامل ازدهارها وهي:

1- حرية القول . 2 - دواعي الخطابة كالحرب والصلح والمغامرات. 3- الفصاحة فكل العرب كانوا فصحاء.

ولقد اجتمعت كل هذه الخصائص في خطبة (قس من ساعدة الايادي) والجدير بالذكر أنه أول من قال في خطبته: (أما بعد) وتسمى (فصل الخطاب)، لأنها تفصل المقدمة عن الموضوع.

الوصايا:

الوصية: قول حكيم صادر عن مجرب يوجه الي من يجب لينتفع به، وهي من ألوان النثر التي عرفها العرب في الجاهلية.

أجزاء الوصية:

المقدمة: وفيها تمهيد وتهيئة لقبولها.

الموضوع: وفيه عرض للأفكار في وضوح واقناع هاديء.

الخاتمة: وفيها إجمال موجز لهدف الوصية.

ولقد رأينا ذلك في (وصية أم لابنتها عند زواجها) أمامة بنت الحارث

خصائص أسلوب الوصية:

- أ- وضوح الألفاظ.
- ب- قصر الجمل .
- ج- الإطناب بالتكرار والترادف والتعليل.
- د- تنوع الاسلوب بين الخبر والإنشاء.
- هـ- الإقناع بترتيب الأفكار وتفصيلها وبيان أسبابها.
- و- الإيقاع الموسيقي الجميل وتجلي كل ذلك في وصية أم لابنتها.

الفرق بين الوصية والخطبة :-

أن الخطبة: هي فن مخاطبة الجماهير لاستمالتهم واقناعهم.
اما الوصية: فهي قول حكيم لانسان مجرب يوصي به من يحب لينتفع به في حياته.

الأمثال:

المثل: قول موجز سائر علي الألسنة وارد في حادثة أو مستمد من ملاحظة في البيئة.
نشأة المثل: كانت الحادثة تقع، ويدور فيها القول، وتأتي من بين الكلمات عبارة قوية مركزة في تلخيص الموقف، او استخلاص العبرة منه، فيكون وقعها قويا علي السامع وتلقفها الألسنة فتذيع وتنتشر وتصبح مثلا يلقي في كل موقف يشبه الموقف الذي سيقنت فيه العبارة اول ما سيقنت. وهذا يسمى "مورد المثل".
يضرب المثل في موقف يشبه الحالة التي ورد فيها مع المحافظة علي لفظ المثل وضبطه وهذا يسمى: "مضرب المثل" وهو استعارة تمثيلية ولذلك فكل مثل له مودر ومضرب.

أنواع المثل :

- 1- الامثال المرتبطة بحادثة واقعية.
- 2- الامثال المرتبطة بقصة خيالية.
- 3- الامثال التي تمثل منهاجا معيننا في الحياة كقولهم:

"ان الحديد بالحديد يفلح"

وبعضها ما يحمل توجيهها خاصا كقولهم: "قبل الرماء تملأ الكنانن".

وبعضها يبني علي ملاحظة مظاهر الطبيعة او يرتبط بأشخاص اشتهروا بصفات خاصة.

ويرجع سر انتشار المثل وذيوعه في الجاهلية الي:-

- أ- إنها بيئة فطرية تغلب فيها الامية وتشتد الحاجة الي التجارب المستخلصة في اقوال لها معني صادق.
- ب- كذلك يرتبط المثل بحادثة او حكاية تساعد علي أنتشاره.
- ت- تصاغ الأمثال غالبا في عبارة حسنة، يظهر فيها دقة التشبيه بين المورد والمضرب، وذلك ما يرضي ذوق العربي.

المثل صوت الشعب:

فهو مرآة تنعكس عليها صورة الحياة الاجتماعية والسياسية والطبيعية، وهي تعبير عن عامة الناس لصدوره دون تكلف، ولذلك يتجه الباحثون عن طبائع الشعوب الي دراسة أمثالها، واذا رجعنا الي الامثال وجدناها صوتا للشعب لما يأتي:-

لأنها مرتبطة بالبيئة وما فيها من حرب وصلاح ومفاوضات.

تعبر عن صفات العرب وأخلاقهم وعاداتهم.

ترتبط بحياتهم واحداثها وتعبر عن طرق تفكيرهم ولذلك تنتوع الامثال من أمة الي أخرى تبعا لأختلاف البيئة والثقافة وأختلاف العصور.

الخصائص الفنية للامثال

ايجاز اللفظ . ب- قوة العبارة . ت- دقة التشبيه . ث - سلامة الفكرة.

نماذج لأمثال العرب في الجاهلية

جزاءه جزاء سنمار : يضرب لمن يحسن في عمله فيكافأ بالاساءة اليه.

رجع بخفي حنين : يضرب هذا المثل في الرجوع بالخيبة والفسل.

انك لا تجني من الشوط العنب :يضرب لمن يرجو المعروف في غير اهله او لمن يعمل الشر وينتظر من ورائه الخير.

من حكم العرب في الجاهلية

الحكمة: قول موجز مشهور صائب الفكرة رائع التعبير،يتضمن معني مسلما به،يهدف الي الخير والصواب وتعبر عن خلاصة خبرات وتجارب صاحبها في الحياة. فيم تلتقي الحكمة والمثل؟ وفيم يختلفان؟ تتفق الحكمة مع المثل في: الايجاز،والصدق،وقوة التعبير،وسلامة الفكرة. وتختلف الحكمة عن المثل في أمرين:-

لا ترتبط في اساسها بحادثة او قصة. وانها تصدر غالبا عن طائفة خاصة من الناس لها خبرتها وتجاربها وثقافتها.

اسباب انتشارها:-

قد شاعت الحكمة علي ألسنة العرب لاعتمادها علي التجارب واستخلاص العظة من الحوادث ونفاذ البصيرة والتمكن من ناحية البلاغة.

الخصائص الفنية لأسلوب الحكمة:

روعة التعبير

قوة اللفظ

-- دقة التشبيه

د- سلامة الفكرة مع الإيجاز

الحكمة صوت العقل: لأن الحكمة قول موجز يقوم علي فكرة سديدة وتكون بعد تأمل وموازنة بين الامور واستخلاص العبرة منها ولذلك فهي تعبر عن الرأي والعقل.

نماذج من حكم العرب في الجاهلية:

مصارع الرجال تحت بروق الطمع: فيها دعوة الي القناعة فأن الطمع يقتل صاحبه.

رب ملوم لا ذنب له : دعوة الي التحقق من الامر قبل توجيه اللوم للبريء.

أدب المرء خير من ذهبه: معناها ان قيمة الانسان بأدبه لا بماله.

من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء : معناها (فمن استعان بقوم غير صالحين لم يفلح في عمله ويكون مثله كمثل من يقف الماء في حلقه ، فلا يجد سبيلا الي ازالة غصته).فهي تدعو الي حسن اختيار الاعوان.

من شدد نفر، ومن تراخي تألف: " فالناس تنفر من الشديد القاسي وتميل الي اللين الرحيم" وهي تدعو الي اللين في المعاملة، وحسن معاملة الناس.

النثر المسجوع أو سجع الكهان:

تعريفه: " لون فني يعمد إلى ترديد قطع نثرية قصيرة، مسجعة ومنتالية، تعتمد في تكوينها على الوزن الإيقاعي أو اللفظي، وقوة المعنى"،

وهذا نوع من النثر في العصر الجاهلي أولاه المستشرقون من العناية أكثر مما يستحق، وبعضهم كان يغمز بذلك من طرف خفي إلى الفواصل في آيات القران الكريم كأنه يريد الطعن في إجازة. فهناك من يؤكد بأن المسجوع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر عند العرب.

يقول ابن رشيق: وكان كلام العرب كله منثوراً، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم الأخلاق وطيب أعراقها، وصنعوا أعاريض جعلوها موازين للكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً . " فلما استقر العرب، واجتمعوا بعد تفرق، وتحضروا بعد بدو، واجتمع لهم من سمات الحضارة وثقافة الفكر، وتنظيم الحياة، ما جعلهم يشعرون بحاجتهم إلى كلام مهذب، وأسلوب رشيق، وفكرة مرتبة، فكان النثر المسجوع وسيلتهم في ذلك .

فمن مميزاته:

أنه محكم البناء، جزل الأسلوب، شديد الأسر، ضخم المظهر، ذو روعة في الأداء، وقوة في البيان، ونضارة في البلاغة. لغته تمتاز: بشديدة التعقيد، كثرة الصنعة، كثرة الزخارف في أصواتها وإيقاعها . لذلك فالنثر المسجوع يأتي في مرحلة النضج. بينما كنا قد رجحنا من قبل بأسبقية الأمثال على غيرها من أشكال التعبير النثري.

وظاهرة السجع المبالغ فيه في النثر الجاهلي، قد ارتبطت بطقوس مشربة بسحر والكهون ومعتقدات الجدود، لذلك يكثر في رأيه ترديد القطع النثرية القصيرة المسجعة أثناء الحج في الجاهلية، وحول مواكب الجنائز، مثل قول أحدهم: من الملك الأشهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب، هذا دمه يشحب، وهذا غدا أول من يسلب." ويتصف هذا النثر إجمالاً باستعمال وحدات إيقاعية قصيرة تتراوح بين أربعة وثمانية مقاطع لفظية (...). تنتهي بفاصلة أو قافية، ودون لزوم التساوي بين الجمل أو المقاطع.

الرواية _ الرواة

قد علمنا مما تقدم أن عامة المروري من كلام العرب شعرها ونثرها وأخبارها معزو إلى أهل البدو الأميين، ولذلك لم يصل غلينا كتاب يجمع بين دفتيه الكثير منها، وما روي لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا النزر اليسير بوجوه مختلفة وبالطبع لا يحفظ هذه الوديعة إلا أهل الحفاظ عليها والاعتداد بها وهم الشعراء والمتأدبون، فقد كان امرؤ القيس رواية ربي دواد الإيادي، وزهير رواية أوس بن حجر والأعشى رواية المسيب بن علس.

واشتهر من قريش أربعة بأنهم رواة للأشعار وعلماؤهم بالأنساب وهم مخزومة بن نوفل، وأبو الجهم بن حذيفة، وحويطب بن عبد العزى وعقيل بن أبي طالب.

الوحدة الثانية

الأدب في عصر صدر الإسلام

مفهوم أدب عصر صدر الإسلام:

يقصد بالأدب في عصر صدر الإسلام، هو النتاج الثقافي والأدبي من لغة وأدب وشعر ونثر خلال الفترة من بعثة النبي محمد ﷺ إلى آخر أيام الخلفاء الراشدين، والذي ينتهي بمقتل علي بن أبي طالب عام 40هـ.

مصادر الأدب في عصر صدر الإسلام:

لقد حصر علماء اللغة والأدب والنقاد مصادر الأدب في عصر صدر الإسلام إلى ثلاثة مصادر رئيسية هي القرآن، والحديث، والأدب الجاهلي، فقد استلهم الأدب الإسلامي أفكاره وأساليبه من هذه المصادر الثلاثة. واقتفى الشعراء أثر هذه المصادر، وسوف نتحدث هنا عن القرآن والحديث النبوي، أما الأدب الجاهلي فهو عصر سابق للعصر الذي نتحدث به ويحتاج موضوع مستقل للحديث عنه.

القسم الأول:

الشعر والشعراء في هذا العصر

جاء النبي الكريم، والشعر ديوان العرب، فأتاهم بالأمر العظيم والحادث الخطير، حاملاً بإحدى يديه القرآن يدعو الناس إلى توحيد الله والتمسك بالفضيلة وشاهراً بالأخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة وما كان أشد ذهولهم لخطبهما وانزعاجهم من وقعها، فهبوا يتحسسون الأول ويتمرسون أساليبه ومعانيه ويتفرسون ألفاظه ومغازيه، وما بين معاند تلمس مطعناً فيه، ومؤمن يستبينه ويهديه، وتأهبوا للثاني: ما بين ضال يناوئه، ومهند يعاضده، فصار لك صارفاً لهم عن التشاغل بالشعر محولاً مجرى أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه المتحرفة عن سنن الشرف والحق، وبغض إليهم تلك الفنون المرذولة إزاء القرآن على الشعر بقوله: {وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} {224} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ} {225} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ} {226} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء: 224 227] ولهذا لم يكف شعراء المسلمين عن قوله فيما يطابق روح القرآن.

ولبت الحال على ذلك مدة حياة النبي الكريم، حتى إذا ما ثاروا لإسكان فتن أهل الردة وفتح الممالك والأمصار، وأضافوا إلى ما أفوه من أغراض الشعر الإكثار من التباهي بالنصر، ووصف المعارك، وأحوال الحصار وآلات القتال ولما آل الأمر إلى بني أمية وشغب عليهم كثير من فرق المسلمين أصبح الشعر لساناً يعبر عن مقاصد كل حزب، حتى أصبح حرفة عتيقة، وصناعة جديدة ومورد ثروة وأصبحت دراسته ونقده وروايته ودأب العلماء والأدباء حتى الخلفاء وأولياء عهدهم ويمكن وصف ما كان عليه الشعر في هذا العصر من حيث أغراضه ومعانيه وتصوراته وعبارته بما يأتي:

أغراض الشعر وفنونه

- 1 نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه.
وخاص زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين.
- 2 التحريض على القتال ووصفه والترغيب في نيل الشهادة رفعاً لكلمة الله، وذلك في أزمان غزوات النبي وحصار المدن وفتحها.
- 3 الهجاء: وكان أولاً في سبيل الدفاع عن الإسلام بهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حد المروءة، وبما رضيته النبي حسان شاعره في هجاء قريش وعشيرة النبي من بني عبد مناف.
وكان يتحرج عنه المسلمون ولو التعريض زمن النبي وخلفائه: ولذل عاقب عمر أمير المؤمنين الحطيئة وهدده بقطه لسانه لنيله من بعض المسلمين: ثم صار يتساهل في خطبه حتى كان الهجاء غاية براعة الشاعر وإن لم يصل في الإقذاع والفحش إلى الحد الذي وصل إلي في العصر الآتي.
- 4 المدح: وقلما كان مبدأ الإسلام فير غير النبي من حيث الاهتداء بهديه ونشر الحق على يديه، وكان خلفاؤه يأنفون مدحهم بما تزهي به نفوسهم تواضعاً.
ثم استرسل الشعراء فيه وقيل ذلك منهم الخلفاء إلى أن كان المدح من أهم الدعائم التوطيد أركان الدولة وتفخيم مقام الخلفاء والولاية والإرشاد بعظمتهم.

معانيه وأخيلته وألفاظه وأساليبه وأوزانه

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصورهم وتخيلهم عما ألفوه زمن الجاهلية وإن فاقوهم كثيراً في ترتبي الفكر وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان بما هذب نفوسهم ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله، وكذلك لم يخرجوا جملة في هيئة تأليف اللفظ ونسجه وامتانة أسلوبه عن نظائرهم في الجاهلية، وإنما آثروا جزالة اللفظ وفخامته ومؤلفته لسابقته ولاحقه دون غرابته كما آثروا جودة الأسلوب وامتانته وروعة تأثيره ولاسيما أهل النسيب: ولم يطرأ على أوزان الشعر العربي حدث غير ما عرف عنه في الجاهلية وإنما شاع في هذا العصر نظم الأراجيز والتطويل فيها، واستعمالاً في جميع أغراض القصيد، حتى في افتتاحها بالنسيب والتخلص منه إلى المدح والذم ونحو ذلك.

الشعراء

شعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم واستقامت أسنتهم ولم يمتد إليهم اللحن، ولد زادتهم مدرسة القرآن الكريم فصاحة وبلاغة وإحكاماً وإتقاناً حتى فضلهم بعض الرواة على سابقهم من الجاهلين، ومن أشهر شعراء هذا العصر كعب بن زهير، والخنساء، والحطيئة، وحسان ن ثابت، والنابغة الجعدي.

الشعراء المخضرمون:

جمع مخضرم، وهم من أدرك العهدين الجاهلي والإسلامي.

ويمتاز شعر المخضرمون بتلك النفحة الدينية الذي تلمس به ارتياحاً شديداً إلى نعيم الآخرة، حيث استخدم الشاعر ألفاظاً لم تكن مألوفة من قبل على حقيقتها ومعانيها الأصلية، كما و اكتسب الشعر نوعاً جديداً وهو الهجاء السياسي .

أشهر الشعراء المخضرمين:

أبوطالب:

شيخ البطحاء وسيّد الحجاز بعد أبيه، توفي قبل الهجرة بثلاث سنين أي في آخر السنة العاشرة من مبعث الرسول (صلى الله عليه وآله).

حسان بن ثابت:

حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد. شاعر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة.

واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته. لما بلغ حسان بن ثابت الستين من عمره وسمع بالإسلام فدخل فيه. وراح من فوره يرد هجمات القرشيين اللسانية، ويدافع عن النبي (صلى الله عليه وسلم) والإسلام، ويهجو خصومهما. قال ﷺ يوماً للأنصار: "ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟" فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وقال عليه السلام: "والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء" ولم يكن حسان بن ثابت وحده هو الذي يرد غائلة المشركين من الشعراء، بل كان يقف إلى جانبه عدد كبير من الشعراء الذين صح إسلامهم. وكان النبي ﷺ يثني على شعر حسان، وكان يحثه على ذلك ويدعو له بمثل: "اللهم أيده بروح القدس" عطف عليه، وقربه منه، وقسم له من الغنائم والعطايا. إلا أن حسان بن ثابت لم يكن يهجو قريشا بالكفر وعبادة الأوثان، إنما كان يهجوهم بالأيام التي هزموا فيها ويعيرهم بالمثالب والأنساب. ولو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغا. كان حسان بن ثابت لا يقوى قلبه على الحرب، فاكتفى بالشعر، ولم ينصر محمدا ﷺ بسيفه، ولم يشهد معركة مع رسول الله ﷺ ولا غزوة. مما لا شك فيه أن حسان بن ثابت كان يحظى بمنزلة رفيعة، يجله الخلفاء الراشدون ويفرضون له في العطاء. في نفس الوقت، فإننا لا نجد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه موقفا خاصا من الشعر، ويبدو أن انشغاله بالفتوحات وحركة الردة لم تدع له وقتا يفرغ فيه لتوجيه الشعراء أو الاستماع إليهم.

أغراض شعر حسان بن ثابت:

أكثر شعر حسان في الهجاء، وما تبقى في الافتخار بالأنصار، ومدح محمد ﷺ والغسانة والنعمان بن المنذر وغيرهم من سادات العرب وأشرافهم. ووصف مجالس اللهو والخمر مع شيء من الغزل، إلا أنه منذ إسلامه التزم بمبادئ الإسلام. ومن خلال شعر حسان بن ثابت نجد أن الشعر الإسلامي اكتسب رقة في التعبير بعد أن عمر الإيمان قلوب الشعراء، وهي شديدة التأثير بالقرآن الكريم والحديث الشريف مع وجود الألفاظ البدوية الصحراوية. ومهما استقلت أبيات حسان بن ثابت بأفكار وموضوعات خاصة فإن كلا منها يعبر عن موضوع واحد، هو موضوع الدعوة التي أحدثت أكبر تغيير فكري في حياة الناس وأسلوب معاشهم. وسنقسم شخصية حسان بن ثابت الشعرية إلى ثلاثة أقسام هي:

1. حسان شاعر القبيلة: قبل أن يدخل حسان بن ثابت في الإسلام، كان منصرفا إلى الذود عن حياض قومه بالمفاخرة، فكان شعره النضال القبلي تغلب عليه صبغة الفخر. أما الداعي إلى ذلك فالعداء الذي كان ناشبا بين قبيلته والأوس. ولقد كان فخر حسان لنفحة عالية، واندفاعا شديدا.

2. **حسان شاعر التكسب** : اتصل حسان بالبلاط الغساني ، فمدح كثيرا من أمراء غسان أشهرهم عمرو الرابع بن الحرث ، وأخوه النعمان ، ولاسيما جبلة بن الأيهم . وقد قرب الغساسنة الشاعر وأكرموه وأغدقوا عليه العطايا ، وجعلوا له مرتبا سنويا .

حسان شاعر الإسلام : نصب حسان نفسه للدفاع عن الدين الإسلامي ، والرد على أنصار الجاهلية، وقد نشبت بين الفريقين معارك لسانية حامية ، فكان الشعر شعر نضال يهجي فيه الأعداء ، ويمدح فيه رجال الفريق ، ولم يكن المدح ولا الهجاء للتكسب أو الاستجداء ، بل للدفاع عن الرسول الكريم ﷺ .
وهذا ينقسم لقسمين:

أما المدح الذي نجده في شعر حسان لهذا العهد فهو مقصور على النبي ﷺ وخلفاءه وكبار الصحابة ، والذين أبلوا في الدفاع عن الإسلام بلاء حسنا. وهو يختلف عن المدح التكسبي بصدوفه عن التقلب على معاني العطاء والجود ، والانطواء على وصف الخصال الحميدة ورسالة محمد ﷺ ، وما إلى ذلك مما ينبثق من العاطفة الحقة والعقيدة النفسية ، قال حسان: نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعيد فأسمى سراجا مستنيرا وهاديا يلوح كما لاح الصقيل المهند وأنذرنا نارا وبشر جنة وعلمنا الإسلام ، فانه نحمد وأنت إله الخلق ربي وخالقي بذلك ما عمرت في الناس أشهد

ويلحق بهذا المدح رثاء محمد ﷺ ، فقد ضمنه الشاعر لوعة، وذرف دموعا حارة ، وتذكرا لأفضال رسول الدين الجديد ، وحنينا إليه في النعيم: مع المصطفى أرجو بذاك جواره وفي نيل ذلك اليوم أسعى وأجد وأما الهجاء النضالي : فقد وجهه إلى القرشيين الذين قاموا في وجه الدين الجديد يحاربونه ويهجون محمد ﷺ . وكان موقف الشاعر تجاههم حربا لما بينهم وبين محمد من نسب .

أما أسلوبه في هجائه فقد كان يعمد إلى الواحد منهم فيفصله عن الدوحة القرشية ، ويجعله فيهم طائرا غريبا يلجأ إليها كعبد ، ثم يذكر نسبه لأمه فيطعن به طعنا شنيعا ، ثم يسدد سهامه في أخلاق الرجل وعرضه فيمزقها تمزيقا في إقذاع شديد ، ويخرج ذلك الرجل موطنا للجهل والبخل والجبن ، والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهدة الموت في المعارك . قال حسان هاجبا بني سهم بن عمرو : والله ما في قریش كلها نفر أكثر شيخا جبانا فاحشا غمرا هذر مشائيم محروم ثويهم إذا تروح منهم زود القمر لولا النبي ، وقول الحق مغضبة لما تركت لكم أنثى ولا ذكرا توفي في المدينة. قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة وشاعر اليمانيين في الإسلام.

وقال المبرد في الكامل: أعرق قوم في الشعراء آل حسان فإنهم يعدون سنة في نسق كلهم شاعر وهم: يد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام 54 - ? هـ / ? - 673 م

كعب بن زهير (رضي الله عنه) - ? 26 هـ - ? / 646م،

(انظر قسم الدراسة الخاصة)

الخنساء:

هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية الملقبة بالخنساء. وُلدت سنة 575م. هي أرقى شواعر العرب، وأحزن من بكى وندب. كان أبوها عمرو، وأخواها معاوية وصخر، وكانت هي من أجمل نساء زمانها فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم، فرغبت عنه، وآثرت التزوج من قومها فتزوجت منهم،

قُتِلَ أخوها معاوية وصخراً في الجاهلية فحزنت عليهما حزناً شديداً، وجزعت عليهما وأخذت برثائهما وبالبياء عليهما، وقد خصت أباها صخراً بدموعها السخية لما تحلى به من الشجاعة والكرم والوفاء وبذل المال.

عاشت الخنساء ولها من العمر 89 سنة، واعتنقت الإسلام، حيث وفدت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنشدته من شعرها، وأسلمت بين يديه، هي وقومها مع بنيتها، وقدمت أولادها الأربعة في سبيل الإسلام، وحرّضتهم على الثبات في القتال حتى قُتلوا. وعندما وصلها خبر مقتلهم هتفت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة»¹. ويذكر أنها سُئلت عن عدم رثاء أولادها الأربعة ورثائها المستمرّ لآخوانها فقالت: أولادي أحسبهم عند الله، أما اخوتي فسيذهبون إلى النار. ومما جاء في رثائها لصخر:

الا ما بعينيك أم مالها لقد اخضلّ الدمع سربالها

ساحمل نفسي على خطة فأما عليها وأما لها

فإن تصبر النفس تلق السرور وإن تجزع النفس أشقى لها

للخنساء ديوان شعر أكثره رثاء، طبع في بيروت، وُترجم إلى الفرنسية، وطبع عدّة مرّات. وأخيراً طبع كتاب شرحه عدد من العلماء بعنوان «أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء»²

ويذكر أنه قيل لجرير: «من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء»³

كانت الخنساء تتذكر صخراً عند طلوع الشمس وغروبها، فإذا طلعت تذكرها بغارات صخر وعند غروب الشمس تذكرها بضيافة صخر، حيث تقول:

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكلّ غروب شمس

وقد بلغت عاطفتها حدّاً كادت تؤدّي بحياتها لولا كثرة الباكين حولها على إخوانهم حيث قالت:

لولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

فلا والله ما أنساك حتى أفارق مهجتي وينشقّ رمسي

من هذا يتبيّن أنّ شعر الخنساء يجمع بين صور الشعر الجاهلي وصور الشعر الإسلامي، والذي يمتاز بالسهولة واللين لأنه فيه أسلوب العاطفة الهائجة وحرارة الثورة والتي تنطلق من غير تكلف، ونتمكّن من القول بأنّ شعر الخنساء هو شعر عاطفة فحسب. توفيت الخنساء سنة 24هـ.

ليبيد بن ربيعة العامري؟ - 41 هـ / ؟ - 661 م .

هو أبو عقيل ليبيد بن ربيعة العامري المضري كان من أشرف قومه و فرسانهم ، و قد نشأ كريماً شجاعاً فاتكاً إلى أن دخل الإسلام نحو سنة 629 ثم انتقل إلى الكوفة و قضى فيها أواخر أيامه إلى أن توفي سنة 691 و له من العمر أكثر من مائة سنة . له ديوان شعر طبع للمرة الأولى في سنة 1880 و قد ترجم إلى الألمانية و أشهر ما في الديوان المعلّقة تقع في 88 بيتاً من البحر الكامل و هي تدور حول ذكر الديار _

¹ تاريخ الأدب العربي: ص260.

² تاريخ الأدب العربي / عمر فروخ: ج1، ص319.

³ أعلام النساء / عمر كحالة: ص360.

وصف الناقة _ وصف اللهو _ والغزل و الكرم _ و الافتخار بالنفس و بالقوم . فنه : لبيد شاعر فطري بعيد عن الحضارة و تأثيراتها يتجلى فنه في صدقه فهو ناطق في جميع شعره يستمد قوته على صدقه و شدة إيمانه بجمال ما ينصرف إليه من أعمال و ما يسمو إليه من مثل في الحياة و لهذا تراه إن تحدث عن ذاته رسم لنا صورته كما هي فهو في السلم رجل لهو و عبث و رجل كرم و جود و إذا هو في الحرب شديد البأس و الشجاعة و إذا هو و قد تقدمت به السن رجل حكمة و موعظة و رزانة . و إن وصف تحري الدقة في كل ما يقوله و ابتعد عن المبالغات الإيحائية و أكثر ما اشتهر به وصف الديار الخالية و وصف سرعة الناقة و تشبيهها بحيوانات الصحراء كالأتان الوحشية و الطيبة . و إن رثى أخلص القول و أظهر كل ما لديه من العواطف الصادقة و الحكم المعزية فهو متين اللفظ ضخم الأسلوب فشعره يمثل الحياة البدوية الساذجة في فطرتها و قسوتها أحسن تمثيل و أصدق تمثيل تبدأ المعلقة بوصف الديار المقفرة _ و الأطلال البالية . و تخلص إلى الغزل ثم إلى وصف الناقة و هو أهم أقسام المعلقة ثم يتحول إلى وصف نفسه و ما فيها من هدوء - اضطراب _ لهو ... فكان مجيداً في تشبيهاته القصصية . و قد أظهر مقدرة عالية في دقته و إسهابه و الإحاطة لجميع صور الموصوف و يتفوق على جميع أصحاب المعلقات بابتارة ذكريات الديار القديمة فشعره يمثل دليل رحلة من قلب بادية الشام إلى الخليج الفارسي بادية العرب

و هذه بعض دواوينه:

وَأَدَّتْ بَنُو حُرثَانَ فَرَحَ مُحَرَّقٍ	بَلَوَى الوَضِيعَةَ مُرْتَجَّ الأَبْوَابِ
لَا تَسْقِنِي بِيديكَ إِنْ لَمْ أَلْتَمَسْ	نَعَمَ الضُّجُوعَ بِغَارَةِ أَسْرَابِ
تَهْدِي أَوَاتِلَهْنَ كُلُّ طُمْرَةٍ	جَرْدَاءَ مِثْلَ هِرَاوَةِ الأَعْرَابِ

الْحَطِيبَةُ

اسمه جروول ابن أوس بن مالك ويكنى بأبي مليكة وهو من فحول الشعراء في زمن الحطيئة لم يسلم أحد من لسانه وهجائه حتى قيل أنه هجا نفسه وهجا أمه وزوجته وكانت أغلب القبائل العربية تهابه وتهبه المنح والعطايا خوفاً من هجائه فقد كان متين الشعر شرود القافية . يصفه الأصمعي بقوله : كان الحطيئة جسعاً سوؤلاً ملحاحاً دنيء النفس كثير الشر قليل الخير بخيلاً قبيح المنظر رث الهيئة فاسد الدين بديناً هجاءً إلى درجة أنه هجا نفسه بقوله

أَبْتَ شَفْتَايَ اليَوْمَ إِلا تَكَلَّمَا	بَشْرَ فَمَا أُدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي اليَوْمَ وَجْهًا قَبِحَ اللهُ شَكْلُهُ	فَقَبِحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقَبِحَ حَامِلُهُ

النابغة الجعدي

هو أبو ليلي حسان بن تعبد الله الجعدي العامري أحد القدماء المعمرين ولشعراء المخضرمين، ووصاف الخيل المشهورين.

قال الشعر في الجاهلية ثم أجبل دهرأ، ثم نبغ في الشعر عند ظهور الإسلام وبعده: ولذلك سمي النابغة، وهو ممن فكر في الجاهلية، وأنكر الخمر وما تفعل العقل، وهجر الأزلام والأوثان، وذكر دين إبراهيم، وصام واستغفر، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعاش طويلاً في الإسلام، فأقام زمناً مهاجراً

حتى أيام عثمان رضي الله عنه فأحس بضعف في نفسه، فاستأذن عثمان في الرجوع إلى البادية فأذن له، ثم كانت خلافة علي شهد معه وقائعه صفيين، وظاهره بيده ولسانه، ونال من معاوية وبنو أمية، ومكان بأصبهان سنة 58هـ؟ عد أن عمّر مائة وثمانين سنة.

شعره: كان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والإسلام، وهو أول من سبق إلى الكناية في الشعر عن اسم من يغني إلى غيرها وتبعه الناس بعد، وكان ممن يصون الخيل فلا يلحق له في ذلك غبار، حتى ضرب به المثل قال الأصمعي: ثلاثة يصفون الخيل فلا يقاربهم أحد: طفيل الغنوي وأبو داود الإيادي، والنابغة الجعدي، وله في الفخر والهجا والمديح والثناء شعر كثير ومن أشرفه قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم وهي:

خليلي عوجا ساعة وتهجّرا	ونوحا على ما أحدث الدهر أو ذرا
ولا تجزعا إن الحياة ذميمة	فخفّات لروغعات الحوادث أوقرا
وإن جاء أمر لا تطيقان معه	فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها	قليل إذا ما الشيء ولى وأدبر
تهيج البكاء والندامة ثم لا	تغير شيئا غير ما كان قدرا
أتيت رسول الله إذا جاء بالهدى	ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
أقيم على التقوى وأرضي بفعالها	وكنت من النار المخوفة.. أحذرا
ومنها في الفخر:	
وإنا لقوم ما تعود خيلنا	إذا ما التقيا أن تحيد وتنفرا
وتنكر يوم الرّوع ألوان خيلنا	من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا	وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
ولا خير في حلم إذا لم تكن له	بوادر تحمي صفوة أن يكذرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له	حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم (بلغنا السماء البيت) قال فأين المظهر يا أبا ليلى تقال الجنة، وقال إن شاء الله، ولما أتم قصيدته قال له الرسول أجدت لا يفضض اله فاك فأنت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفضت من فيه سن.

موقف الإسلام من الشعر

يظن بعض دارسي الأدب أن الإسلام حارب الشعر بينما الصحيح انه لم يحاربه لذا ته وإنما حارب الفاسد من مناهج الشعراء و يتمثل هذا المعنى في الآية التي صنفت الشعراء إلى فئتين فئة ضالة وأخرى مهتدية حيث يقول : (والشعراء يتبعهم الغاؤون * الم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) بل إن الإسلام ذهب إلى ابعده من هذا حين اتخذ الشعر سلاحا من أسلحة الدعوة و عدّه نوعا من أنواع الجهاد فجعل الشاعر على ثغرة من ثغور الإسلام لا يسدها إلا هو وأمثاله من الأدباء وقد

أدرك الإسلام قيمة الكلمة الشعرية وشدة تأثيرها ولذا كان النبي يشجع الشعر الجيد المنطوي على مثل عليا وكان يستمع إليه ويعجب بما اشتمل عليه من حكمة حتى لقد قال "إن من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمه" ولما استأذن حسان بن ثابت في الرد على المشركين أذن له وقال "اهجهم ومعك روح القدس" كما كان يستزيد الخنساء من الشعر فيقول "هيه هيه يا خناس" وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم حيث كانت سيرتهم تبعا لما جاء به الرسول فقد اقتفوا أثره وتحروا سنته فما نفع من الشعر أو حسن قبلوه وشجعوه عليه وما كان فيه ضرر أو قبح نبذوه وحاسبوا عليه. وخلاصة القول أن الإسلام وقف من الشعر موقفا وسطا فلم يؤيده ولم يعارضه وإنما عده كلاما كأبي كلام فحسنته حسن وهو مقبول وسينته سيئ وهو مرفوض وما يقال عن الشعر يقال عن بقية فنون الأدب الأخرى .

حال الشعر في صدر الإسلام

يذكر بعض دارسي الأدب أن الشعر في هذا العصر قد أصيب بالضعف وتعرض لفترة من الركود وفي هذا الكلام شيء من الخطأ وشيء من الصواب إما أنه أصيب بالضعف فكلام غير صحيح لأنه مبني على خلط بين الضعف من جهة وبين اللين والسهولة من جهة أخرى وذلك لأن الإسلام صادف في العرب قلوبا قاسية فألأنها وطبعا جافية فرقها ومن ثم أصبح الشعراء يختارون من الكلمات أليتها ومن الأساليب أسهلها وابتعدوا عن الألفاظ الجافة الغليظة والتراكيب الوعرة و شعر حسان في الجاهلية والإسلام خير شاهد على ما نقول وإما أنه تعرض لفترة من الركود فصحيح وذلك للأسباب التالية: - 1- انبهار العرب ببلاغة القرآن وملأت نفوسهم عقيدة الإسلام وآدابه وفي أثناء ذلك شغلوا بالفتوحات فصر فهم كل ذلك عن قول الشعر إلا قليلا. ولعل أدل واقعة تدلل على شدة الانبهار هي قصة الوليد ابن المغيرة ومقولته الشهيرة واصفاً القرآن (الوليد بن المغيرة: و الله إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة و إن أسفله لمغدق و إن أعلاه لمثمر وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته و ما يقول هذا بشر)

2 - سقوط منزلة الشعراء لتكسبهم بالشعر وخضوعهم في سبيل العطاء للممدوحين وبذلك علا شأن الخطابة وانخفض شأن الشعر وخصوصا بعد أن صارت الخطابة هي الوسيلة الطيبة المرنة لنشر دعوة الإسلام.

3- أن نفر من الشعراء الذين ظلوا على الشرك من أمثال عبد الله بن الزبير هجوا رسول الله فأمرو النبي بترك رواية شعرهم.

4- إن الإسلام حارب العصبية وحرم الخمر وقاوم الهجاء القبلي المقذع والغزل الفاحش ولم يشجع رحلات اللهو والفنص وكل هذه الأمور كانت وقودا جزلا لشعلة الشعر فلما قاومها الإسلام اقتضرت أغراض شعر المخضرمين على مناقضة شعراء المشركين وعلى مدح الرسول وأصحابه... ومع هذا فلم يخل هذا العصر من أصوات شاعرية عذبة انبعثت من أمثال لبيد بن ربيعة والخنساء وحسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم.

أسلوب الشعر في صدر الإسلام

يعد الشعر في عصر صدر الإسلام امتدادا لسابقه في العصر الجاهلي لأن شعراء هذا العصر هم أنفسهم شعراء العصر الجاهلي ولهذا فقد كانوا يسمون بالمخضرمين إلا أن هذا لا يمنع أن يكون قد حدث شيء من التغيير في أسلوب الشعر ومعانيه أما أسلوب الشعر في هذا العصر فقد اختلف بشكل يسير عن أسلوب الشعر الجاهلي وذلك من خلال تأثره بأسلوب القرآن وأسلوب الحديث وتأثره بعاطفة المسلم الرقيقة

فالورع والتقوى ومخافة الله أوجدت أسلوباً يبتعد عن الجفاء والغلظة والخشونة التي هي ابرز سمات الشعر الجاهلي ومن هنا فقد أصبح الشاعر الإسلامي يختار الألفاظ اللينة والتركيب السهلة الواضحة التي تؤدي المعنى بشكل دقيق أما أوزان الشعر وأخيلته ونظام القصيدة فقد بقيت على ما كانت عليه في العصر الجاهلي لأن مثل هذا التغيير يتطلب وقتاً ليس بالقصير وأما معاني الشعر فقد اختلفت بشكل كبير عن معاني الشعر الجاهلي الذي لم يكن يقف عند حد معين أو فكر محدد ومن ثم أصبح الشاعر في هذا العصر يختار من المعاني ما يخدم الإسلام ويدعوا إليه مستقيماً معظم هذه المعاني من القرآن والحديث ولكن من غير المقبول أن يقال إن معاني الشعر الإسلامي قد انفصلت انفصلاً تاماً عن معاني الشعر الجاهلي لأن الأدب الجاهلي - كما ذكر سابقاً - هو المصدر الثالث من المصادر التي يستقي منها الأدب الإسلامي أفكاره وأساليبه ولهذا فإن المعاني التي أهملها الشعر هي المعاني التي نفاها الإسلام فلم تعد صالحة للبقاء كالشعر الذي يدعوا للعصبية وكالغزل الفاحش والهجاء المقذع والمدح الكاذب ووصف الخمر أما المعاني التي لم ينفها الإسلام فقد بقيت متداولة لدى الشعراء مع تغير القيم التي يعتمدون عليها في تلك المعاني فإذا كانت قيم المدح في الجاهلية هي الشجاعة والكرم والجود فإنها في الإسلام تعني التمسك بالدين والتحلي بحسن الخلق والورع والزهد وإذا كانت قيم الفخر في الجاهلية هي الأحساب والقبيلة فإنها في الإسلام تعني الانتساب للإسلام وإتباع الرسول وهكذا في بقية الأغراض إلا أن هذا لا يمنع أن يجمع الشاعر بين القيم القديمة والقيم الجديدة التي جاء بها الإسلام.

وأخيراً نشير إلى أن هناك موضوعات جدت وطرأت في هذا العصر كشعر الدعوة ونشر عقائد الإسلام ووصف الفتوحات الإسلامية وأماكن الجهاد كما وجدت في هذا العصر البذرة الأولى للشعر السياسي الذي برز فيما بعد في عصر بني أمية بسبب تعدد الأحزاب السياسية

القسم الثاني :

النثر في عصر صدر الإسلام

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر:

كانت العرب أمماً بدوية ليس لها وسائل العمران وأسباب الرخاء ما يحملها على تبخر في علم أو تبصر في دين، أو تفنن في تجارة، أو زراعة أو صنعة أو سياسة، وعلى وفق ذلك كانت اللغة العربية لا تعدوا أغراض المعيشة البدوية إلا أن روحاً من الله تنسم بين أرجائها فأيقظها من ردتها، ونبهها لضرورة التعاون على الخير في معاشها ولغتها وجماعتها، فظهر ذلك بيناً في الأسواق التجارية اللغوية الاجتماعية، وفي الإذعان فيها إلى حكومة الأشراف من قريش وتميم وغيرهما، مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد ويتفاهموا بلسان واحد، فكان ذلك إيذاناً من الله بإظهار الإسلام فيهم، وما ألفت نفوسهم هذا النمط ويتفاهموا بلسان واحد، فكان ذلك إيذاناً من الله بإظهار الإسلام فيهم، وما ألفت نفوسهم هذا النمط الجديد إلا ود جاء النبي الكريم لئلا لشعثهم موحداً لكلمتهم، مهذباً لطباعهم مبيناً طريق الحق، وجادة الصواب، بشرية عظيمة.

فكان من نتيجة ذلك أن أسست لهم جمعة قومية مليئة ومملك كبير، وبالتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره، وتفهمهم شرعته وكلامه ثم خضوعهم بعد لزعامته قومه وخلفائه وولائهم وفتوحهم تحت ألويتهم ممالك الأكاسرة والقيصرة وغيرها ومخالطتهم أهلها بالجوار والمصاهرة.

الأول: شيوع اللغة القرشية ثم توحيد لغات العرب، وتمثلها جميعها في لغة قريش واندماج سائر اللهجات العربي فيها، وبعض أسباب هذا يرجع إلى ما قبل بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم، وظهر ذلك الداعي العظيم منهم، وانتشار دينه وسلطانه على أيديهم. وبحكم الضرورة تكون لغتهم هي اللغة الرسمية بين القبائل.

الثاني: انتشار اللغة العربية في ممالك الفرس والروم وغيرهما بالفتوح والمغازي وهجرة قبائل البدو إليها، واستيطانهم، واختلاطهم بأهلها.

الثالث: اتساع أغراض اللغة منهجاً دينياً، واتباعها خطة نظامية تقتضيها حال الملك وسكنى الحضرة.

الرابع: ارتفاع المعاني والتصورات وتغيير الألفاظ والأساليب.

الخامس: ظهور اللحن في الكلام بين المستعربين: من الموالى وأبناء العرب من الفتيات وبعض العرب المكثرين من معايشة الأعاجم.

ولما كان معظم هذه التغييرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النبوي ناسب وصفهما بقليل من مثير مما ينبغي أن يقال فيهما.

القرآن

هو كلام الله ومعجزة النبي محمد ﷺ، تحدى الله به بلاغة الإنس والجن ، وهو حجة الله على الناس كافة وعلى العرب خاصة؛ لأنه نزل بلغة العرب . فيه تبيان لكل شئ. والقرآن كنز الحكمة والعلم والمعرفة ، ما فرط الله فيه من شئ ، ولا تزال الأيام تكشف من عجائبه كل يوم جديد .

السور المكية:

كلها تدور حول توحيد الله وإثبات وحدانيته بأدلة من آياته ومخلوقاته ، وتعظيم أمر التوحيد والترغيب فيه بالجنة ، وتهويل أمر الشرك وإنذار المشركين بعذاب جهنم.

السور المدنية:

ففيها تشريعات سياسية وقضائية واجتماعية وعسكرية ، تكفل سعادة الفرد والمجتمع وفيها أيضاً أداب ترسم طرق الأخلاق الكريمة ، وتأمركم بكل معروف وتنهى عن كل منكر ، ثم إنها توضح فروع العبادات والمعاملات .

لغة القرآن

نزل القرآن بلغة قريش وفيه بعض ألفاظ من لغات القبائل المضرية واليمينية . فقد ذكروا أن كلمة (فشل) بمعنى جبن هي من لغة حمير ، وأن كلمة (الأرائك) بمعنى (الأسرة) هي أيضاً يمنية وأن كلمة (الموئل) بمعنى (الملجأ) هي من لغة كنانة وأن كلمة (السائح) بمعنى الصائم هي من لغة هذيل . أما الألفاظ التي قيل أنها أعجمية كالإبريق والسندس والإستبرق والكافور والأكواب والقوارير فالمعتقد أنها في حكم العربية وأنها كانت جزءاً من لغة العرب قبل نزول القرآن بقرون طويلة والدليل [[قول القرآن]] : (إنا أنزلناه قرءاً أنا عربياً لعلكم تعقلون)

إعجاز القرآن

لقد أيد الله رسله بمعجزات ، وكانت معجزة كل رسول من جنس ما يحسنه قومه ، فلما كان السحر منتشراً في زمن موسى – عليه السلام – جاءت معجزته بما هو أعظم من أعمال السحرة وهو العصا ، وانفجار الصخر وانفلاق البحر ولما كان قوم عيسى عليه السلام، بارعين في الطب جاءت معجزته – عليه السلام – بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى . ولما كان العرب في الجاهلية يتباهون بالبيان والبلاغة جاءت معجزة محمد ﷺ بالقرآن . فقد تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله ، بما فيه من بديع نظم ؛ وحسن تأليف وروعة أسلوب ، ودقة عرض. ولذا فعندما سمعه العرب وهم أمراء البيان أكبروه وعجزوا عن أن يردوه إلى نوع من أنواع الكلام المعروفة فقالوا مضطربين : إنه شعر شاعر ، أو فعل ساحر ، أو سجع كاهن ... ووصفهم إياه بأنه نوع من هذه الأنواع التي تشترك في فتنة العقل دليل على فعله القوي في نفوسهم . وببلاغة القرآن تحدى الله العرب ، إلا أن هناك وجوهاً أخرى لإعجاز القرآن لم يقع فيها التحدي وهي : الإخبار عن الغيبات والأمور المستقبلية ، والإخبار عن الأمم الماضية كما ظهر في هذا العصر وجه جديد وهو ما يسمى بالإعجاز العلمي ، ولكل من هذه الوجوه أمثلة لا يتسع المقام لذكرها.

أسلوب القرآن

ألفاظ القرآن لها نسق بلاغي حير العقول وأعجز البلغاء ، فما تستطيع مهما أوتيت من بلاغة أن تستبدل بكلمة واحدة من القرآن كلمة مثلها في بلاغتها . والآيات القرآنية مسجوعة الفواصل غالباً ، وهذا من حكمة الله جل وعلا وفضله؛ لأن السجع سهل على القراء حفظها . ولكل من السور المكية والمدنية خصائص تتميز بها غالباً فالسور المكية قصيرة الآيات ، أسلوبها يثير العواطف والعقول معاً ، وهي حارة اللهجة فيها تهويل وتكرار وجدل وإقناع . والسور المدنية طويلة الآيات ، هادئة اللهجة ، عذبة الألفاظ فيها وضوح يناسب التعليم ودقة تناسب التشريع.

خصائص أسلوب القرآن

1- التكرار: وذلك لتثبيت المعنى في النفوس ، ومن السور التي يتضح فيها التكرار البليغ سورة القمر ، وسورة الرحمن ، وسورة المرسلات .

2 - الالتفات: وهو الانتقال من ضمير إلى ضمير كأن ينتقل من ضمير الغائب إلى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً * وعرضوا)المخاطب أو المتكلم كقول القرآن : على ربك صفاً لقد جننتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن جعل لكم . فقد تكلم الله عن المشركين بضمير الغائب في قوله)موعداً (وحشرناهم) ثم بضمير المخاطب في قوله جننتمونا) . وتكلم جل وعلا عن نفسه فقال: (وحشرناهم) بضمير المتكلم ثم قال : (وعرضوا على ربك .)والسر في بلاغة الالتفات أن إطالة الإنصات إلى أسلوب واحد تأتي بالرتابة على المعنى ، ومن ثم فهو يأتي مزيلاً لتلك الرتابة ومجدداً لنشاط السامع.

3 -الإيجاز: ولذلك فقد اجتمع بين دفتي المصحف من أمر التشريع والعقيدة والعلوم ما لم تتسع له مجلدات التفسير الكبيرة .

4- ضرب المثل : ومعظم أمثال القرآن محسوسة ؛ وذلك لتثبيت الأمور المعنوية وتوضيحها في الأذهان

القرآن الكريم وأثره في اللغة

القرآن (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [هود:1]، فيه آيات بينات، ودلائل واضحات، وأخبار صادقة، ومواعظ راقية، وشرائع راقية، وأدب عالية، بعبارات تأخذ الألباب. وأساليب ليس لأحدج من البشر بالغاً مما بلغ من الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثلها، أو يفكر في محاكاتها فهو آية الله الدائمة، وحجته الخالدة، (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت: 42]، أنزل الله على رسوله ليبلغه قومه وهم فحول البلاغة، وأمراء الكلام. وأباه الضيم، وأربا الأنفة والحمية فيبهرهم ببيانه، وأذهلهم افتتانه فاهتدى به من صح نظره واستحصف عقله، ولطف ذوقه، وصد عنه أهل العناد والمكاراة واللجاج فتحداهم أن يأتوا بمثله فنكصوا ثم بعشر سور مثله فعجزوا، ثم بسورة من مثله فانقطعوا فحق عليهم إعجازه قال تعالى: (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء: 88]. وللقرآن فضل على اللغة فقد أثر فيها ما لم يؤثره أي كتاب سماوي كان أو غير سماوي في اللغة التي كان بها، إذا ضمن لها حياة طيبة وعمرأ طويلاً، وصانها من كل ما يشوه خلقها ويذوي غضارتها فأصبحت وهي اللغة الحية الخالدة ومن بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها، وصارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية وأنه قد أحدث فيها علوماً جمّة وفنوناً شتى لولاه لم تخطر على قلب، ولم يخطها قلم منها، والنحو، والصرف، والاشتقاق، والمعاني، والبديع، والبيان والأدب والرسم، والقراءات، والتفسير، والأصول، والتوحيد والفقهاء.

جمع القرآن وكتابه

قد نزل القرآن الكريم على رسول الله صل الله عليه وسلم منجماً تعلى حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال في بضع وعشرين سنة، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر كتابة وحيه بكتابة ما ينزل وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن كله مكتوب، وفي صدور الصحابة محفوظ، وجمعه في صحف واحد في عصر أبي بكر رضي الله عنه على يد زيد بن ثابت رضي الله عنه ومن وكل معه على إرشادات عمر رضي الله عنه ، وفي مدة الإمام عثمان كثرت الفتوحات وانتشر القراء في الأمصار فأمر عثمان زيد بن ثابت وعد الله بن الزبير وسعيد بن العاص ونعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوا تلك الصحف في مصحف واحد مرتب السور واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لنزوله بلغتهم.

الحديث النبوي

تعريفه : الحديث -أو السنة النبوية- هو قول الرسول أو فعله أو تقريره.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فصح الناس وأبينهم وأحكمهم، وكانت حياته كلها هداية ونوراً وأفعاله وأقواله جميعها مدداً يستمد منه الخلق سدادهم وإرشادهم في معاشهم ومعادهم ولهذا حرص المسلمون على حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم توفق مثله أمة في حفظ آثار رسولها فجمعوا من كلامه ووف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام ووعوا منها في صدورهم ما لا يدخل تحت حصر وكلامه صلى الله عليه وسلم منزّه عن اللغو والباطل وإنما كان في توضيح قرآن أو تقرير حكم أو إرشاد إلى خيراً أو تنفير من شر أو في حكمة ينتفع الناس بها في دينهم ودنياهم عبارة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان بالدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى.

وظيفة الحديث:

الحديث هو المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام بعد القرآن وربما جاء في نفس المرتبة لأن الله قد أعطى لنبيه حق التشريع في بعض الأمور فالقرآن احتوى على أصول الدين وقواعد الأحكام العامة ونص على بعضها وترك بيان بعضها الباقي للرسول. وتتخلص وظائف الحديث في توضيح القرآن وتفصيل إجماله وتقييد إطلاقه وتخصيص عمومه.

خصائص أسلوب الحديث

كلام النبي آية في الفصاحة والبلاغة وقمة في البيان وهو أبلغ كلام صدر عن بشر ولكن بلاغة القرآن في أفق لا تتاله بلاغة الإنسان. وترجع بلاغة النبي إلى عدة أسباب:

أولها: أنه مؤيد بالوحي والإلهام

ثانيها: موهبته الفطرية

وثالثها: نشأته في قريش واسترضاعه في بني سعد وهم أفصح العرب.

ورابعها: تضلعه من لغة القرآن وعلمه بلغة العرب.

مميزات الحديث

أنه موجز إيجاز بليغا فالألفاظ القليلة تشتمل على معان كثيرة كقوله "قل آمنت ثم استقم". ولهذا سمي جوامع الكلم.

أنه خال من التكلف والزخرف ينساب من طبع صادق ونبع غزير صاف.

أن معانيه مستقاة من معاني القرآن ومقاصده ولذلك فإن أغلب أحكامه ما هي إلا صدى لصوت القرآن.

أنه سهل اللفظ يخاطب في سهولته العامة والخاصة مع ملاءمته لحالة المخاطب.

أن فيه كثيرا من الأمثال التي توضح المعنى وتقربه إلى الأذهان.

نماذج من جوامع الكلم:

”إنما بعثت فيكم لأتمم مكارم الأخلاق“

”الجنة تحت ظلال السيوف،“

”ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس“

” مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه“

” العلماء ورثة الأنبياء“

أثر الإسلام في اللغة والأدب:

كانت حياة العرب في الجاهلية تقوم على الجهل الذي هو التطاول والبغي والإشراك بالله وعبادة الأصنام وإتيان الفواحش.. إلى غير ذلك من مظاهر الجاهلية.

فجاء الإسلام وغير هذه الحياة الجاهلية وأخرج العرب من الظلمات إلى النور، وأثر في حياتهم تأثيراً كبيراً، ورسم لهم طريقاً جديداً، ونبذ طريقهم القديم.

والأدب بشعره ونثره مظهر من مظاهر الحياة المختلفة، أثر فيه الإسلام كما أثر في غيره من نواحي الحياة، واللغة هي المعبرة عن الأدب فلا يمكن أن نتصور أدباً من دون لغة، وبناء على ذلك فإن اللغة تأثرت بالإسلام تأثراً ملموساً في طرق التعبير المختلفة سواء كان ذلك في المفردات أو في التراكيب أو في البناء العام.

والإسلام رسم الطريق للأدب ووضحه فمن الأدباء من انتفع بذلك المنهج الإلهي المرسوم فسار على نهجه كحسان، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك. ومن الأدباء من لم ينتفع بما رسمه الإسلام وإنما رجع إلى تقليد الجاهليين والسير على نهجهم كما حصل من بعض الشعراء في صدر الإسلام وما بعده من العصور، وهؤلاء وأولئك ينطبق عليهم الحديث الشريف: "إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منه وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ.." الحديث [1] ، فهذا الحديث لا يقتصر على الأدباء وحدهم فهو شامل لهم ولغيرهم، ولكن الأدباء فئة من الناس منهم من أثر فيه الإسلام فصنع أدباً إسلامياً، ومنهم من رجع إلى أدباء الجاهلية يقتدي بهم.

وقد رقق الإسلام ألفاظ اللغة وأبعدها عن الجفاء والغلظة كما حول أساليبها إلى العذوبة والسلاسة. وقد أسهم المسلمون من غير العرب في رقي أدب اللغة العربية فبرز شعراء وخطباء وكتاب أسهموا بنصيب كبير في توسع الأدب وتعدد أغراضه، وبما أن الإسلام جاء بفكر جديد يحتاج إلى شرح وتوضيح فقد برزت الخطابة بأساليبها الجديدة، كما توسع كتاب الرسائل في التقنن في أساليبهم، وبرزت المناظرات بفنونها الأدبية والبلاغية، فأثر الإسلام في اللغة والأدب ظاهر وجلي. ولعلنا نحدد ذلك ونبينه عندما نتحدث عن أثر القرآن في اللغة والأدب، وأثر الحديث في اللغة والأدب.

الخطابة والكتابة

كانت لغة التخاطب في مبدأ الإسلام بين العرب الخالص والموالي النابتين فيهم هي العربية الفصيحة المعرة وكانت لغة الموالي الطارئین عليهم تقرب من الفصيحة أو تبتعد عنها على حسب طول لبثهم فيهم أو قصر مقامهم عندهم ولما فتح المسلمون الأمصار وكثر عندهم سبي الأعاجم وأسرى الحروب ودخل في الإسلام منهم ألوف الألوف وأصبحوا لهم إخواناً وشركاء في الدين وتم بينهم التزاوج والتناسل، نشأ للعرب ذرية اختلطت عليهم ملكة العربية وكذلك كان الشأن في المتعربين من الأعاجم أما العرب أنفسهم عد الفتوح فكانت لغتهم في جزيرتهم مثلما كانت عليه في جاهليتهم، أما سكان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر، فالعامية منهم المخالطون للأعاجم لم تخل لغتهم من لحن أو هجئة، والخاصة منهم تشددوا فالمحافظة على سلاقتهم وتحاموا التزوج بالأعجميات وبالغوا في تربية أبنائهم فكانوا يرسلونهم إلى البادية ليرتاضوا على الفاصحة، أو يحضون لهم المؤدبين والمعلمين كذلك كان يفعل خلفاء بني أمية

وأمرؤهم اقتداءً بكبيرهم معاوية بن أبي سفيان في تربية ابنه يزيد، ومن لحن منهم تعدوا ذلك عليه عاراً لا يمحى وسبة لا تزول، ومن هؤلاء اللحنين عبيد الله بن زياد والوليد بن عبد الملك وخالد القشري مع أن بعضهم كان من أبلغ الناس وأبينهم. ومن هنا يعلم السر في تسرع القوم إلى وضع النحو وتدوينه والشكل والأعجام.

الخطابة في هذا العصر والخطباء

ما كان مبدأ الانقلاب العظيم في أي أمة إلا دعوة دينية أو دعوة سياسية، وكانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها وألسنة من أعدائها وخصومها لإدحاضها والصد عنها، وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات: وكان ظهور الإسلام من أهم الحوادث التي أنشطت الألسن من عقلها وأثارت الخطابة من مكمناها فوق ما كانت عليه في جاهليتها فكان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بادئ أمره غير تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة. ولأمر ما جعلها الشارع سعار كل الأمور ذوات البال، كان دعاة النبي صلى الله عليه وسلم ورسله إلى الملوك وأمراء جيوشه وسراياه ثم خلفاءه من بعده عمالهم كلهم خطباء مصاقع ولسنا مقاول وأن الشعر صرفهم عن اللهو والشعر الذي لا ينهض بأعباء الخطابة ولا سيما الدينية لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب بعبارات تفهمها الخاصة والعامة وكان لهم من القرآن أدلته وحجته والاقتباس منه مدد أيما مدد.

ولما حدثت الفتنة بين المسمين بعد مقتل عثمان، وافترقوا إلى عراقيين بزعامة علي وشاميين بزعامة معاوية ولكل منهم دعوة يؤيدها ورغبة يناضل عنها في تلك الحرب الشعواء التي لم ينكب الإسلام بمثلها، ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ولا يشق غبارهم، وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء علي بن أبي طالب وعلى رأس الشاميين معاوية بن أبي سفيان ولم يعدم كل طائفة خطباء يؤيدون دعوتها بما أتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان.

والخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه في اللسان العربي حتى ممن يعد عليهم اللحن ولم تسعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خطب ومثل ما سعدت به في هذا الصدر الأول. واتخذ الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة والاشتغال بالرداء.

الوحدة الثالث

الأدب في العصر الأموي

بدأ العصر الأموي سنة 41 هـ بسيطرة معاوية بن أبي سفيان على الدولة الإسلامية ، ثم انتهى سنة 132 هـ ، بسقوط الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية، وانتقال الخلافة إلى بغداد مرّ الشعراء بحالة من الركود في العصر الإسلامي، ولما قامت الدولة الأموية انطلق الشعر مزدهراً مرة أخرى في كل المجالات كما كان في العصر الجاهلي بسبب تعدد الأحزاب السياسية وكثرة المفاخرة بين الشعراء ، بالإضافة إلى فساد الحكم وإطلاق حرية التعبير فازدهر شعر الغزل بنوعيه: العفيف والصريح، وظهر شعر النقائض على ألسنة الشعراء.

وتقدم النثر في العصر الإسلامي على الشعر لنزول القرآن نثراً وكذلك الحديث الشريف وقد استمر ازدهار النثر في العصر الأموي، وتعددت فنونه نظراً لتعدد الأحزاب السياسية في هذا العصر وشدة الصراع بينها، وحاجة كل حزب إلى متحدثين بارعين في فن القول يؤيدون مبادئه ويهدمون مبادئ غيره.

الفنون الأدبية في العصر الأموي

بلغت الفنون الأدبية التي سبق الحديث عنها في صدر الإسلام مستوى رفيعاً من النضج والنماء في العصر الأموي وهي: الشعر والخطابة والكتابة، وذلك لتضافر الكثير من العوامل .

القسم الأول

الشعر في العصر الأموي

وقد ظهرت أغراض شعرية جديدة وتطورت أغراض أخرى قديمة:

من الأغراض الشعرية الجديدة التي ظهرت في العصر الأموي الشعر السياسي بسبب كثرة الأحزاب السياسية، والصراع من أجل الحكم . ومن نماذج هذا الشعر قصائد الفرزدق وجرير والكميت وغيرهم.

ومن الأغراض الشعرية القديمة التي تطورت في العصر الأموي الغزل الحضري أو الصريح- الغزل البدوي أو العفيف- شعر النقائض

اتجاهات الشعر في العصر الأموي:

الشعر السياسي:

بظهور الأحزاب السياسية في العصر الأموي ظهر لون جديد من الشعر لا عهد للعرب به من قبل هو الشعر السياسي، فكانت الأحزاب المصطرعة على الحكم تستعين بشعرائها لتأييد دعوتهم ومبادئها ومنافحة خصومها، فكان لكل من الأمويين والخوارج والشيعة والزييرية ومعارض الحكم الأموي عامة شعراؤهم الناطقون بلسانهم، الذائدون عنهم. وقد بلغ الشعر السياسي من جراء هذا الصراع غايته من الارتقاء والانتشار حتى كاد الطابع السياسي يغلب على جل الشعر المقول عصرئذ، وكان الشعر أمضى الأسلحة في مناهضة الأعداء والذود عن مبادئ الجماعة السياسية في ذلك العصر، ومن هنا كان بنو أمية حراصاً على اصطناع الشعراء المجيدين وإغداق الأموال عليهم . ولكن شعرهم ما أنشدوها إلا لإرضاء ممدوحهم ، ولذا كانت خالية من الصدق وقيم الفني الخالص، لأن الدافع إلى قوله كان الرغبة في العطاء،

ولهذا يرى بعض شعرائهم ينقلبون على ممدوحيههم إذا قلب لهم الدهر ظهر المجن أو أصابهم غضب السلطان، صنيع الفرزدق مثلاً بالحجاج بعد موته وهجا قتيبة بن مسلم بعد مصرعه إرضاء لسليمان بن عبد الملك، وكان قد مدحهما قبل ذلك .

وبعض الشعراء يستعينون بطائفة من الحجج لدعم سلطان بني أمية، فهم الذين اختارهم الله لتولي أمور المسلمين ، وهم أفضل من يتولى الخلافة لما اتصفوا به من عدل وسماحة وحزم وتقوى، وهم ورثة عثمان وأولياؤه، إلى غير ذلك من الحجج .

أما شعراء الخوارج فكان شعرهم يمثل الالتزام العقدي خير تمثيل، فهم إنما وقفوا إلى جانب هذا الحزب بدافع إيمانهم بمبادئه وتشربهم عقائده، لا رغبة في عطاء أو مغنم، ومن هنا اتسم شعرهم بالصدق وتوقد العاطفة. وقد جعلوا شعرهم مجتلى مشاعرهم ومعرضاً لمبادئهم، وعلى أن النثر أقدر على بيان المعتقدات والاحتجاج لها من الشعر نجد أنهم استطاعوا عرض طائفة من معتقداتهم في شعرهم كقولهم بالتساوي بين المسلمين جميعاً في حق تولي الخلافة، لا فضل لقبيلة على أخرى، وكذهابهم إلى إنكار التحكيم بين علي ومعاوية وتكفير علي لقبوله إياه، وغير ذلك من معتقداتهم .

وقد قصد الشيعة نحو شعراء الخوارج في التزامهم بيان معتقداتهم والاحتجاج لها في أشعارهم وامتناعهم عن التكسب بشعرهم - إلا قلة منهم - وكان أقوى حججهم قولهم بأن قريشاً أولى بتولي الخلافة من جميع القبائل وأن آل البيت هم أولى أسر قريش بهذا الأمر لقرابتهم من رسول الله ، وكانوا يأخذون على بني أمية اغتصابهم حق بني هاشم وعدم أخذهم بالكتاب والسنة في سياستهم أمور المسلمين .

الشعر الغزلي

وقد شهد العصر الأموي ازدهار فن آخر من فنون الشعر هو الشعر الغزلي الذي تفتحت براعمه في صدر الإسلام، وقد توافرت جملة من الدواعي لازدهار هذا الفن بأنواعه الثلاثة: الحضري والبدوي والنسيب. ازدهر الغزل في حواضر الحجاز، مكة والمدينة والطائف، وكان شعراء الغزل الحجازيون منصرفين في كثرتهم إلى اللهو وسماع الغناء والتعرض للنساء، وقد وجدوا بين أيديهم وفرة من المال أفادته الفتوح على قومهم فلم يحتاجوا إلى الكد في سبيل كسبه، كما وجدوا أنفسهم بعيدين عن مواطن الصراع السياسي في الشام والعراق وخراسان، فانصرفوا إلى الشعر الغزلي وافتنوا فيه افتناناً ارتقى به إلى مرتبة رفيعة لم يبلغها الشعر العربي في أي عصر من عصوره. وكان رائد هذا اللون من الغزل الشاعر القرشي عمر بن أبي ربيعة .

والضرب الثاني هو الشعر الغزلي البدوي الذي ازدهر في بوادي نجد والحجاز خاصة، وقد عرف هؤلاء بصدق عاطفتهم وعفتهم، ومنهم من قاده عشقه إلى الهلاك، وزعيم هذه الطائفة جميل بن معمر [ر] الذي اشتهر بحبه لبثينة .

وقد وقف هؤلاء وأولئك جل شعرهم على الغزل ونهضوا بهذا الفن وأخصبوه بمعان جديدة وصور مبتكرة لم يعرفها الشعراء قبلهم .

والضرب الثالث من الغزل هو النسيب الذي كان الشعراء يأتون به في مطالع قصائدهم، وقصائد المديح خاصة. وقد ارتقى النسيب كذلك والتزمه الشعراء في مطالع جل قصائدهم، وأطاله بعضهم إطالة تلفت النظر كجرير بن عطية .

ومن الظواهر الغزلية في العصر الأموي: الغزل الحضري والغزل البدوي:

1- الغزل الحضري أو الصريح، كما في شعر عمر بن أبي ربيعة، ومن عوامل ازدهاره :

أ- حياة الترف التي عاشها الشعراء.

ب- انتشار الغناء في عواصم البلاد العربية.

ب- انصراف كثير من شعراء الحجاز عن السياسة واهتمامهم بالغزل

2- الغزل البدوي العذري أو العفيف، كما في شعر مجنون ليلى وجميل بن مَعْمَر وأبي صخر الهذلي وغيرهم ومن عوامل ازدهار هذا اللون من الشعر ما يأتي :

أ- كثرة الفراغ لدى شعراء البادية

ب- لغيرة على المرأة والحفاظ على التقاليد

عمر بن أبي ربيعة

هو عمر بن أبي ربيعة وكنيته أبو الخطاب. ولد عام 644 م يوم مقتل عمر بن الخطاب، في أسرة قريشية جمعت إلى مجدها العريق ثروة ضخمة ومكانة في المجتمع كريمة.

شب الفتى المخزومي على دلال وترف، فانطلق مع الحياة التي تنفتح رحبة أمام أمثاله ممن رزقوا الشباب والثروة والفراغ. لهى مع اللاهين وعرفته مجالس الطرب والغناء فارسا مجليا ينشد الحسن في وجوه الملاح في مكة، ويطلبه في المدينة والطائف وغيرهما.

رأى في موسم الحج معرض جمال وفتون، فراح يستغله " إذ يعتمر ويلبس الحلل والوشي ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج". ويلقى الحاجات من الشام والمدينة والعراق فيتعرف إليهن، ويرافقهن، ويتشبه بهن ويروي طرفا من مواقفه معهن. وشاقته هذه المجالس والمعارض فتمنى لو أن الحج كان مستمرا طوال أيام السنة:

ليت ذا الدهر كان حتما علينا كل يومين حجة واعتمارا

أما قصيدته في هند بنت الحارث المريية فلها عطر وخمر وعسل وازهار خاصة عندما قال (وتعرت ذات يوم تبترد) والاشد كمدا على عمر في (كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هند وقالت بعد غد). وهاهي قصيدته (ليت هذا أنجزتنا ما تعد (وهي طويلة):

ليت هذا أنجزتنا ما تعد وشففت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

وظل عمر يتقلب في هذه الألوان من الشعر والحياة، حتى تقدمت به السن فأقصر عن اللهو والمجون، وأقلع عن ذكر النساء إلى أن وافته المنية سنة 733 م

قيس بن الملوح بن مزاحم العامري مجنون ليلى

هو قيس بن الملوح بن مزاحم العامري شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنوناً وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلى بنت سعد التي نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها، فهام على وجهه ينشد

الأشعار ويأنس بالوحوش، فيرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز، إلى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل إلى أهله.

وتؤكد كتب الرواة أن الهوى تمكن من قلوبهما، وهما لا يزالان صبيين، علق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي قبيلتهما فلم يزالا كذلك حتى كبرا، فحجبت عنه.. وفي هذا قوله:

تعلقت بليلي وهي ذات ذؤابة ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا؟ إلى اليوم لم تكبر و لم تكبر البهم ويروي أبو الفرج سبب عشق المجنون بقوله:

إنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حلتان من حلل الملوك، فمر بنسوة من قومه يتحدثن، فيهن ليلي - فأعجبهن جماله وكماله فدعونه إلى النزول والحديث، فنزل.. وأمر عبداً له كان معه فققر لهن ناقته. وظل يحدثهن بقية يومه إلى أن طلع عليهم فتى يدعي " منازل " فتركن " المجنون " وأقبلن عليه فغضب ورحل. وفي الصباح عاود الكرة، فألقى ليلي مع صاحبات لها قاعدة بفناء بيتها وقد علق حبه بقلبها وهويته. فدعته النسوة إلى النزول والمحادثة ففعل وأرادت أن تختبر منزلتها عنده، فجعلت تعرض عن حديثه.. وإذ أقبل فتى من الحي فدعته وسارته.. ثم صرفته، ونظرت إلى وجهه قيس قد تغير وامتقع لونه وشق عليه فعلها، فأنشأت تقول:

كلانا مظهر للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكين

تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثم هوى دفين

ولا نرى مدعاة لسرد كل مراحل قصة المجنون، فهي معروفة مشهورة، شبيهة بسائر قصص العذريين التي في المرعى ثم تنمو مع الزمن إلى أن تحجب الصبية عن فتاها، فيتغنى بحبها فيحرمه النسيب من الفوز بها، وتزوج لسواه بل تكره على الزواج برجل آخر. ويظل العاشق المضطهد يلم ببيتها، فيهدر السلطان دمه، فيتيه في البوادي، ويبقى مقيماً على حبه حتى يريحه الموت من عذاب الهوى. ذكر أبو الفرج عن أبي عمرو الشيباني، قوله " علق المجنون ليلي بنت مهدي بن سعد، وكنيتها أم مالك، فشهر بها وعرف خبره فحجبت عنه، فشق ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فرده وأبى أن يزوجه إياها، فاشتد به الأمر حتى جن وقيل له " مجنون بني عامر " فكان على حاله يجلس في نادي قومه فلا يفهم ما يحدث به ولا يعقله إلا إذا ذكرت ليلي. "

وشعر ابن الملوح يعزز رواية الشيباني ويصور كلفه بحب ليلي، واستبداد هذا الكلف بفؤاده حتى نهاية عمره، وآخر أيام دهره. لم يكن يجد عن هواه منصرفاً، ولا إلى السلوان سبيلاً، وكيف وهو لا يصبر على نواها ولا النوى ينسيه ذكراها؟:

فوالله ما في القرب لي منك راحة ولا البعد يسليني ولا أنا صابر

لعمري لقد رنقت يا أم مالك حياتي وساقنتني إليك المقادر

أبو صخر الهذلي

عبد الله بن سلمة السهمي، هو أحد شعراء الدولة الأموية يكنى أبا صخر وهو من قبيلة بني هذيل. كان موالياً لبني مروان، متعصباً لهم، وله في عبد الملك بن مروان مدائح وفي أخيه عبد العزيز أيضاً. له في

الغزل شعر رقيق. يعد من الشعراء المتيمين، ويقال إن أغزل شعر للعرب قوله في محبوبته ليلي بنت سعد، وتكنى أم حكيم .

وابو صخر شاعر مشهور وله كثير من القصائد الطويلة والمقطعات القصيرة، وشهرته بالغزل شهرة عريضة، فله قصائد عديدة في الغزل وذكر محاسن المحبوب وتظهر على أسلوبه ملامح البادية واضحة جلية، كما تظهر فيه اللوعة والحسرة لفراق المحبوب، ويروى انه كان يهوى إمرأه من قضاة مجاورة فيهم ويقال لها: ليلي بنت سعد وتكنى أم حكيم وكان يتواصلان برهة من دهرهما ثم حدث ان تزوجت ورحل بها زوجها إلى قومه. توفي سنة 80 للهجرة

شعر النقائض

وقد أدى احتدام العصبية القبلية عصرئذ إلى وفرة الشعر المقول بدافع العصبية وهو الشعر القبلي. وإلى ظهور ضرب من الشعراء متصل بهذه العصبية وهو المناقضات.

النقيضة مصطلح مأخوذ في الأصل من نقض البناء إذا هَدَمَهُ ، قال تعالى: "ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً" وناقضه في الشيء مناقضة ونقاضاً خالفه ، والمناقضة في القول أن يتكلم بما يتناقض معناه ، وفي الشعر أن ينقض الشاعر ما قال الأول، حيث يأتي بغير ما قال خصمه ، والنقيضة هي الاسم المفرد يُجمع على نقائض .

تمثل النقائض مصطلحاً أدبياً لنمط شعري نشأ في العصر الأموي ، وهي قصائد شعرية امتزج فيها الفخر بالهجاء والتعصب القبلي، وقد ظهرت في العصر الأموي، وكان فرسانها الاخطل وجريير والفرزدق ، وكان الشاعر يكتب قصيدة في هجاء خصمه، فيرد الخصم (ناقضاً) هذه القصيدة بقصيدة اخرى لها نفس الوزن والقافية والرؤي¹.

وكان الجاهليون قد عرفوا طرفاً من هذه المناقضات ولكن لم يتح لها أن تضيع وتكثر في ذلك العصر. فلما كان العصر الأموي أقبل الشعراء على المناقضات وأكثروا منها إكثاراً يلفت النظر، وكان النصيب الأوفى منها لشعراء الثالوث الفحول: جريير والفرزدق والأخطل، حتى لقد اجتمع لهم منها دواوين ضخمة .

ولهذا الضرب من الشعر أصول التزمها الشعراء المتناقضون، ومنها اتفاق القصيدتين في الوزن والقافية، ونقض كل شاعر معاني خصمه. وقد نهض هذا الفن على أيدي شعراء العصر الأموي وبلغ غاية لم يبلغها في العصور الأدبية الأخرى. على أن مما يشين النقائض ما احتوته من بذاءة لفظية وفحش وهتك للعورات .

ونمو شعر النقائض له اسبابه الاجتماعية والعقلية وكان الناس يجدون فيه نوعاً من التسلية والترويح ، اما النقائض بحد ذاتها فقد كانت تعبيراً واضحاً عن نمو العقل العربي ومرانه على الحوار والجدل والمناظرة .

1 ومعنى هذا أنه لا بد من وحدة الموضوع فخراً أو هجاءً أو غيرهما ، ولا بد من وحدة البحر، فهو الشكل الذي يجمع بين النقيضتين ويجذب إليه الشاعر الثاني بعد أن يختاره الأول ، ولا بد كذلك من وحدة الرؤي لأنه النهاية الموسيقية المتكررة للقصيدة الأولى، وكان الشاعر الثاني يجاري الشاعر الأول في ميدانه وبأسلحته نفسها.

وكانت المناقضات تدور في إطارين: إطار العصبية الواسعة بين الجذمين: العدناني والقحطاني، أو بين فرعي عدنان: مضر وربيعة .

والإطار الثاني هو إطار العصبية الضيقة بين قبائل تمت كلها إلى أصل واحد، كالمناقضات بين بني يربوع وبين دارم، وكلاهما من تميم، وشعراء هذه المناقضات هم جرير والفرزدق والبعيث، وكالمناقضات بين ابن ميادة المري والحكم الخصري، وكلاهما من قيس عيلان .

أهم عوامل ظهورها :

- أ- التنافس بين الشعراء طلباً لجوائز الأمراء.
- ب- تأييد الأحزاب السياسية المتصارعة.
- ت- رغبة الخلفاء في صرف الناس عن فساد حكمهم.
- ث- اهتمام النقاد وعلماء اللغة بهذه النقائض.
- ج- انشغال عامة الناس بها، كما يفعل جمهور كرة القدم في عصرنا.

الخصائص الفنية لهذه النقائض:

- أ- المزج بين الفخر والهجاء.
- ب- الإشارة إلى ماضي القبائل وحاضرها .
- ت- التزام الوزن الواحد والقافية الواحدة.
- ث- قوة الأسلوب والمبالغة في الخيال

عيوب النقائض ومحاسنها:

من عيوب النقائض : أنها دعوة إلى العصبية القبلية، وخروج على روح الإسلام السمحة التي لا تميز بين جنس وآخر، وتنتهي عن التفاخر بالأحساب والهجاء الفاحش
ومن محاسنها : أنها أفادت اللغة والأدب بثروة أدبية وأساليب جديدة ، كما كانت سجلاً تاريخياً لكثير من الوقائع والعادات في العصر الأموي¹.

1 الأصل في النقائض هو المقابلة والاختلاف ؛ لأن الشاعر الثاني يجعل همّة أن يفسد على الشاعر الأول معانيه فيردها عليه إن كانت هجاء، ويزيد عليها مما يعرفه أو يخترعه، وإن كانت فخراً كدّبه فيها أو فسرها لصالحه هو، أو وضع إزاءها مفاخر لنفسه وقومه وهكذا. والمعنى هو ركيزة النقائض ومحورها الذي عليه تدور، ويتخذ عناصره من الأحساب القبلية ، والأنساب والأيام والمآثر والمثالب. وليست النقائض شعراً فحسب، بل قد تكون رَجْزاً أو تكون نثرًا كذلك. ولا بد أن تتوفر فيها وحدة الموضوع وتقابل المعاني، وأن تتضمن الفخر والهجاء ثم الوعيد أيضاً، وقد تجمع النقائض بين الشعر والنثر في الوقت نفسه.

اعتمدت النقائض في صورتها الكاملة على عناصر أساسية في لغة الشعراء، منها التّسبب الذي مادة للتّحقير أو التّشكيك أو نفي الشاعر عن قومه أو عده في رتبة وضيعة، وكذلك كان الفخر بالأنساب وبمكانة الشاعر من قومه وقربته من أهل الذكر والبأس والمعروف أساساً، ومن أسباب ذلك أن المجتمع العربي على عصر بني أمية رجع مرة أخرى إلى العصبية القبلية التي كان عصر النبوة قد أحل محلها العصبية الدينية. ومنها أيضاً أيام العرب التي اعتمدت النقائض عليها في الجاهلية والإسلام، فكان الشعراء يتخذون منها موضوعاً للهجاء ويتحاورون فيه، كما صور جزء من النقائض الحياة الاجتماعية أحسن تصوير، ووصف ماجرت عليه أوضاع الناس، ومنها العادات المرعية والأعراف والتقاليد التي يحافظ عليها العربي أشد المحافظة، فكانت السيادة والنجدة والكرم، وكان الحلم والوفاء والحزم من الفضائل التي يتجاذبها المتناقضون، فيدعي الشاعر لنفسه ولقومه الفضل في ذلك. وقد أصبحت النقائض سجلاً أحصيت فيه أيام العرب ومآثرها وعاداتها وتقاليدها في الجاهلية وفي الإسلام.

موقف النقاد من شعر النقائض:

رضى المهتمون بدراسة اللغة والأدب عن شعر النقائض لما فيها من محاسن، ولم يرض عنها علماء الدين لما فيها من عيوب، ونحن نؤيد علماء الدين في موقفهم.

بدا الهجاء بين جرير والفرزدق حين استعان احد الشعراء من قبيلة الفرزدق به للرد على جرير فقام الفرزدق بالانتصار لصاحبه فرد عليه جرير واشتعلت بينهما نار هجاء لم تنطفئ الا بموت الفرزدق وقد كان الهجاء بينهما يركز على ذم القبيلة و ذم النسب وتحقير صفات الخصم

ومن قول الفرزدق في جرير :

ووجدت قومك فقووا من لؤمهم ***عينيك عند مكارم الاقوام
صغرت دلاؤهم فما ملأوا بها ***حوضا ولاشهدوا عراك زحام
فأجابه جرير :

مهلا فرزدق إن قومك فيهم ***خور القلوب وخفة الاحلام
الظاعنون على العمى بجميعهم ***والنازلون بشر دار مقام
اما الاخطل فقد ارسل اليه احد اسياذ قبيلة مجاشع (قبيلة الفرزدق) بألف درهم وكسوة وبغلة لكي يدعم الفرزدق في حربه ضد جرير فقال قصيدة يهجو جريرا ويفضل الفرزدق عليه منها:

أجرير إنك والذي تسمو له ***كأسيفة فخرت بحدج حصان
تاج الملوك وفخرهم في دارم ***ايام يربوع مع الرعيان
فأجابه جرير:

ياذا الغباوة إن بشراً قد قضى ***ألا تجوز حكومة النشوان
فعوا الحكومة لستم من أهلها ***إن الحكومة في بني شيبان
واتصل الهجاء بين الاخطل وجرير وتناقلت الناس اشعارهما.
وهذا ما قاله جرير في فسق الفرزدق الذي اشتهر به:

لقد ولت ام الفرزدق فاجرا	وجاءت بوزواز قصير القوائم
وما كان جار للفرزدق مسلم	ليامن قردا ليله غير نائم
اتيت حدود الله مذ انت يافع	وشبت فما ينهاك شيب الهازم
تتبع في المأخور كل مريبة	ولست باهل المحصنات الكرائم

كان جرير مرسل العنان لا يعوقه قيد , حاد الذهن , خبيث اللسان , والفرزدق سليط اللسان , فاجر النفس متين الشعر , وسهل القافية , للاثنين نقائض عديده , وهجاءات جمه , انقل لكم بعض منها¹,

قال الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً زرارة محتب بفنائه
بيتاً دعائمه اعزّ واطولُ ومجاشعُ وابو الفوارس نهشل
لا يحتبى بفناء بيتك مثلهم ابدأ اذا عدّ الفعال الافضل
- يرد عليه جرير :

أخزي الذي سمك السماء مجاشعاً وبنى بناءك في الحضيض الاسفل
بيتٌ يُحمم قينكم بفنائه دنساً مقاعدهُ خبيثُ المدخلِ
قُتل الزبير وانت عاقد حبةٍ تباً لحبوتك التي لم تحلل
وافاك غدرك بالزبير على منى ومجرُ جعثنكم بذات الحرمل
بات الفرزدق يستجير لنفسه وعجان جعثن¹ كالطريق المعمل
- الفرزدق

حُلّ الملوك لباسنا في اهلنا والسابغات الى الوغى نتسربل
- جرير

لا تذكروا حُلّ الملوك فانكم بعد الزبير كحائض لم تغسل
- الفرزدق :

احلامنا تزن الجبال رزانه وخالنا جُناً اذا لم نجهلُ
خالى الذي غصب الملوك نفوسهم واليه كان حباء جفنة يُنقلُ
انا لنضربُ راس كل قبيلةٍ وابوك خلف اتانه يتقملُ

- جرير

كان الفرزدق اذ يعود بخاله مثل الذليل يعود تحت القرمل
افخر بضبة ان امك منهم ليس بن ضبة بالمعم المخول
ابلق بني وقبان ان حلومهم خفت فلا يزنون حبة خردل

ولابد من ملاحظة الدوافع القبلية والشخصية لهذا التهاجي فالفرزدق ميلا لم يهج دفاعا عن القبيلة فقط بل
لانه اراد منافسة جرير على زعامة تميم الشعرية , كما ان الاخطل سخط ايضا على جرير لانه مدح قبيلة
قيس المعادية لبني تغلب رهط الاخطل كما خاف الاخطل ايضا ان يزاحمه جرير على مكانته في بني
امية. واستمر الحقد متصلا فعندما مات الاخطل في حياة جرير قال فيه

زار القبور أبو مالك *** فكان الأم زوارها

كما هجا الفرزدق بعد موته فقال:

مات الفرزدق بعدما جدّته ***ليت الفرزدق كان عاش طويلا

ولما لامه الناس في ذلك رثاه بيبيتين من الشعر , ولم يلبث بعده ان مات بعد بضعة اشهر. وفي الختام نقول ان النقائض لم تكن تمثل فقط ثأرا شخصيا بل كانت مجالاً للمناقسة بين الشعراء طلباً للجوائز وشجعها الخلفاء لصرف الانتباه عن مظالمهم ورجب فيها الناس لما وجدوه فيها من تسلية وترويح ولكن خصائصها الفنية وتاريخها لماضي القبائل وايام العرب المشهورة وقوة اسلوبها ومبالغتها في الخيال جعلها تقدم للغة العربية ثروة ادبية عظيمة وسجلا تاريخيا لكثير من الوقائع والعادات في العصر الاموي وما قبله , أما مايقيب النقائض فهو دعوتها الى العصبية القبلية وخروجها على روح الاسلام السمحة التي تنهى عن التفاخر بالاحساب والهجاء الفاحش.

لمحة عن حياة بعض شعراء النقائض

1- الفرزدق:

همام بن غالب بن ناحية بن مجاشع بن دارم وينتهي نسبه إلى زيد بن مناة بن تميم ، ولقب بالفرزدق لغلظه وقصره شبه بالفتية التي تشربها النساء وهي الفرزدقة . ويكنى أبا فراس ، تزوج الفرزدق بالنوار فولدت له لبطة وسبطة وخبطة وركضة ، وكان له من البنات خمس أو ست . وكان الفرزدق معنأ مفنأ (1). يقول كل شيء وسريع الجواب وكان سيداً وجيهاً عند الخلفاء والأمراء

قال ابن قتيبة بن مسلم فيما كتبه إلى الحجاج حين سأله عن أشعر شعراء الإسلام قال: أشعر الجاهلية امرؤ القيس وأضربهم مثلاً طرفة وأما أشعر شعراء الوقت فالفرز دق أفخرهم كان يقيم في العراق ، وله ديوان اشتهرت منه النقائض ، وأغراض شعره المدح والرثاء والفخر والهجاء والوصف ، توفي في البصرة سنة 114 هـ .

2- جرير:

جرير بن عطية بن حذيفة وهو من بني كليب بن يربوع ، ولد بعد نيف وثلاثين عاماً من الهجرة ، يكنى أبا حزره ، وكان له عشرة من الولد وكلهم شعراء وأفضلهم وأشعرهم بلال بن جرير ، وكان يقيم جرير في المروة وجرير يعتبر من أشد الشعراء الهجائين كان يقول : " أنا لابنتي ولكن اعندي " قال أبو عمرو : سنل الأخطل أيكم أشعر قال: أنا امدحهم للملوك وانعتهم للخمر والحرمر (3) وأما جرير فأنسبنا وأشبهنا وأما الفرزدق فأفخرنا له ديوان فيه مدح ورثاء وفخر وهجاء وغزل ، توفي في اليمامة سنة 110 هـ

3- الأخطل:

غياث بن غوث من بني تغلب ، يكنى أبا مالك ، وكان يشبه الأخطل من شعراء الجاهلية بالنايعة الذباني ، وهو تغلبي ولد في الحيرة . والأخطل لقب غلب عليه والسبب في ذلك أنه هجا رجلاً من قومه ((فقال له يا غلام إنك أخطل)) وكان الأخطل يمدح بني أمية مدح معاوية ويزيد ومن بعدهم خلفاء بني مروان حتى هلك.

قال مسلمة بن عبد الملك ثلاثة لا اسال عنهم أما أعلم العرب بهم الأخطل والفرزدق وجرير فأما الأخطل فيجيء سابقاً أبداً وأما الفرزدق فيجيء ثانياً وأما جرير فيجيء سابقاً مرة و ثانياً. له ديوان فيه هجاء ومدح وفخر ووصف وخمر ، وهو أشبه بشعراء الجاهلية من حيث الجزالة. فشعراء الإسلام الأخطل وجرير والفرزدق وأشعرهم الأخطل.

شعر الزهد

وثمة لون آخر من الشعر عرفه العصر الأموي هو الشعر الزهدي، وهو شعر أوجدته حركة الزهد التي شهدتها العصر الأموي وإن لم تبلغ فيه غايتها .

وقد شهد العصر الأموي كذلك ازدهار فن الرجز وظهرت فيه طبقة من الرجاز نهضوا بهذا الفن ونحوا به نحو القصيدة وأطالوه إطالة مسرفة .

خصائص الشعر الأموي من حيث ، المعاني والأفكار:

معاني الشعر الأموي وأفكاره قد تأثرت بروح الإسلام في أكثرها، وظل بعضها مقلداً لمعاني الشعر الجاهلي وخصوصاً في الفخر والهجاء كما في شعر النقائض، وقد تميزت هذه المعاني والأفكار بالعمق والغزارة

الصور والأخيلة: صور الشعر الأموي وأخيلته قد ظلت مُستمدّة من القديم في أكثرها، وقد تأثر الشعراء بالإسلام، وظهر تأثرهم به في شعرهم.

الألفاظ والعبارات: أما ألفاظ الشعر الأموي وعباراته فقد كانت قوية خشنة في الفخر والهجاء، وعذبة رقيقة في الغزل، واستمد شعراء الحكمة والمدح ألفاظهم من المعجم الإسلامي.

الأسباب التي أدت إلى ازدهار الشعر في العصر الأموي فهي :

- أ- ظهور الأحزاب السياسية .
- ب- عودة العصبية القبلية.
- ت- التنافس بين الشعراء
- ث- حياة الترف وكثرة مجالس اللهو والغناء

أعلام الشعراء في العصر الأموي

كان لكل حزب من الأحزاب السياسية شعراؤه الناطقون بلسانه، وكان من أبرز شعراء الحزب الأموي جرير والفرزدق والأخطل، وهؤلاء الثلاثة كانوا في الوقت عينه أشهر شعراء المناقضات في ذلك العصر. وقد اتصل جرير أول الأمر بالحجاج والي العراق ثم وفد على عبد الملك بن مروان واتصلت بعد ذلك مدائحه له ولمن جاء بعده من الخلفاء. أما الفرزدق فلم يكن هواه في بني أمية ولكنه مدحهم طمعاً في العطاء. واتصل الأخطل ببني أمية منذ زمن يزيد بن معاوية واجترأ على هجاء الأنصار وكاد معاوية أن يقطع لسانه إرضاء لهم لولا تدخل يزيد، ثم أصبح بعدئذ شاعر بني أمية الأول .

ومن شعراء الحزب الأموي عبد الله بن همام السلولي، وعبد الله بن الزبير الأسدي، وعدي ابن الرقاع العاملي، والنابغة الشيباني، والبعيث المجاشعي، وأبو صخر الهذلي، وأبو العباس الأعمى الذي ظل على وفائه لبني أمية حتى بعد انقضاء دولتهم .

أما الحزب الخارجي فأشهر شعرائه الطرماح ابن حكيم الطائي [ر] وقد كانت بينه وبين الفرزدق مناقضات كثيرة، وعمران بن حطان الذهلي [ر] رئيس القعدة من الصفرية وشاعرهم، وقطري بن الفجاءة [ر]، وقد بايعه الأزارقة أميراً للمؤمنين ثم انتهى أمره بالقتل، ومن شعرائهم كذلك عمرو بن الحصين، ومعاذ ابن جوين، ويزيد بن حبناء .

ومن الشعراء الذين ناصروا الحزب الشيعي الكميّ الأسدي [ر]، وكان من الزيدية، وقد قال في مديح بني هاشم قصائد مطولة سماها «الهاشميات»، ومنهم كثير بن عبد الرحمن [ر]، وكان من الكيسانية، ولكنه لم ينقطع إلى مديحهم بل قال أيضاً مديحاً في بني أمية فضلاً عن شعره الغزلي. ومنهم كذلك أبو طفيل عامر بن وائلة، وسليمان بن قتة، وعوف بن عبد الله بن الأحمر .

ولم يقف في صف الحزب الزبيرى إلا شاعر واحد هو عبيد الله بن قيس الرقيات [ر] وكان بينه وبين مصعب بن الزبير صداقة وطيدة وقال جلّ شعره في مدحه .

وأما الشعراء الذين أيدوا الثورات والفتن التي نشبت في العصر الأموي ومنهم أعشى همدان [ر] الذي ناصر عبد الرحمن بن الأشعث في ثورته وحرصه على قتال الحجاج، وقد ظفر به الحجاج بعد إخماد الثورة وقتله، ومنهم أبو جلدة اليشكري الذي ظاهر كذلك ابن الأشعث، وانتهى الأمر بمقتله .

وأما الشعراء الذين يرافقون المسلمين في فتوحهم، ويحرضون المقاتلين أو يقولون الشعر في مديح قادة الجند والفاثين، وأشهر هؤلاء كعب الأشقري الأزدي الشاعر الفارس، وقد شارك في قتال الأزارقة مع المهلب بن أبي صفرة، وله شعر مقول في فتوح ما وراء النهر ومديح قتيبة بن مسلم .

وفي ميدان الشعر الغزلي شعراء أصابوا شهرة بعيدة، وجلهم ينتمون إلى الحجاز ونجد، وشاعر الغزل الحضري غير المدافع هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، وكان يعيش في بحبوحة ورغد فلم يجد ما يشغله فالتفت إلى التغزل بالنساء وأجاد هذا الفن وكانت له فيه منزلة الريادة .

وممن أجاد هذا اللون من الغزل أيضاً عبد الله بن عمر العرجي [ر] الذي ينتهي نسبه إلى عثمان بن عفان، وقد سبب له تعرضه لنساء الأشراف الأذى والسجن ومات في سجنه. ومنهم الحارث بن خالد المخزومي، وقد ولاه عبد الملك على مكة حقة من الزمن، ومنهم أبو دهب الجمحي، وجل شعره مقول في امرأة اسمها عمرة. وبرز من الأنصار شاعر غزلي مشهور هو الأحوص عبد الله بن محمد الأوسي [ر]. وكان يتعرض لنساء المدينة ذوات الشأن فنفاه عاملها إلى جزيرة دهلك .

أما الغزل البدوي فكان رائده الأول جميل ابن معمر الذي تعشق بثينة وقال جل شعره في التغزل بها فنسب إليها. وقد تتلمذ له شاعر مشهور هو كثير بن عبد الرحمن الذي تغزل بعزة ونسب إليها. ويبدو أنه لم يكن صادق الصبابة، على نقيض أستاذه، وقد سبق القول آنفاً أنه كان من شعراء الشيعة، وكان إلى ذلك كله مداحاً لعبد الملك وبني أمية .

ومن شعراء الغزل أيضاً قيس بن الملوّح الذي عرف بمجنون ليلي [ر]. وقد أصبحت قصته نموذجاً للحب العذري الصادق الذي يقود صاحبه إلى التلف والهلاك . وعروة بن حزام الذي تعشق ابنة عمه عفراء فلما أخفق في الزواج منها استطير عقله وظل يهذي بحبها حتى مات . وقيس بن ذريح [ر] الذي أحب لبنى الخزاعية وناله الإخفاق في حبه .

إن قصص العشاق العذريين تتشابه في أنها تدور كلها حول إخفاق الشاعر في الزواج ممن أحب وانتهاء أمره بالموت أو الجنون أو الجلاء عن الديار .

وأما شاعر غزلي عفيف مع أنه فقيهاً محدثاً هو عروة بن أذينة الكناني [ر]، وشعره يمثل الشعر الغزلي الحضري العفيف .

ومن أعلام الشعراء الغزليين من أهل البادية ذو الرمة غيلان بن عقبة [ر]، وكان يتغزل بفتاة اسمها مية، وهو أبرع من وصف الأطلال والديار، وغزله عفيف بعيد عن الفحش، وقد شهد له بالتقدم في الغزل فحول الشعراء عصرئذ .

واتجهت طائفة من شعراء العصر الأموي إلى وصف الخمرة، وممن برزوا في هذا الفن الأخطل التغلبي والوليد بن يزيد .

ومن أعلام الشعراء الذين تناولوا الشعر الزهدي والوعظي عروة بن أذينة الذي جمع بين الغزل العفيف والزهدي، وأبو الأسود الدؤلي [ر]، وسابق البربري، ورابعة العدوية [ر].

وفي مقدمة الرجاز الأغلب بن عمرو العجلي، وأبو النجم المفضل بن قدامة العجلي [ر]، والعجاج بن عبد الله التميمي [ر]، وابنه رؤبة [ر] الذي أدرك العصر العباسي .

القسم الثاني

النثر في العصر الأموي

مظاهر تطور النثر في العصر الأموي:

- أ- تنوع الرسائل (الديوانية والخاصة) وتعدد أغراضها.
- ب- ظهور مجالس أدبية في قصورا لخلفاء والأدباء تدور حول النقد الأدبي.
- ت- وضوح أثر القرآن الكريم والحديث الشريف في النثر الأموي من : البدء بالبسملة وحمد الله والصلاة والسلام على وسوله ، (ﷺ) وكثرة الاستشهاد بالآيات والأحاديث

الخطابة والمناظرات

ضروب الخطابة في العصر الأموي: عرف العصر الأموي أنواع الخطابة التي كانت شائعة في صدر الإسلام، إضافة إلى أنواع جديدة أوجدها تطور الحياة الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية وظهور الفرق الدينية والكلامية .

الخطابة السياسية

وفي مقدمة الأنواع الخطابية التي ازدهرت عصرئذ الخطابة السياسية، وقد توافرت جملة من العوامل لازدهارها من ذلك الصراع على الحكم، فإن استئثار بني أمية بالحكم وجعله وراثياً بعد أن كان شورياً أثاراً معارضة عنيفة من قبل فئات سياسية مناوئة للحكم الأموي وأبرزها: الحزب الخارجي، الحزب الشيعي، والحزب الزبيرى، فضلاً عن نشوب ثورات تتوخى القضاء على الحكم الأموي كثورة ابن الأشعث وثورة ابن المهلب .

أدت وفرة الأحداث والصراع بين الأحزاب السياسية إلى ازدهار الخطابة السياسية ازدهاراً لم تشهد نظيره في أي من العصور، إذ كان لها الشأن الأول في استمالة الأنصار ومقارعة الخصوم وإرهاب الثائرين وتشجيع المناضلين وعرض حجج كل من الأحزاب المصطرعة ومناظرة أعدائهم .

الخطب الحربية

ويتصل بالخطابة السياسية الخطب الحربية، فقد استدعت حركة الفتح الإسلامي التي بلغت مداها الأقصى في عصر بني أمية وجود خطباء يذكرون وقد الحماسة في نفوس المقاتلة ويحضونهم على مجاهدة أعدائهم. وكان قادة الجيوش في الغالب ممن يجيدون الخطابة، ومن هذا القبيل خطبة طارق بن زياد يوم فتح الأندلس، وخطب ولاية خراسان في تحريضهم الجند على القتال إبان الفتوح فيما وراء النهر كخطب قتيبة بن مسلم ويزيد بن المهلب وأسد بن عبد الله القسري وغيرهم .

و ضرب من هذه الخطب تختلط فيه المعاني السياسية بالمعاني الدينية هو القصص. فكان القصص يرافقون الجيوش الغازية ويثيرون الحمية في النفوس عن طريق التمثيل بالآيات القرآنية التي تحث على الجهاد وتذكير المجاهدين بما ينتظرهم عند الله من الثواب العظيم وربما استعانوا بأخبار فرسان العرب القدامى لتحقيق هذه الغاية .

الخطابة الدينية

وقد نالت هذه الخطابة حظاً وافراً من الازدهار والنماء في عصر بني أمية وإن لم تضارع الخطابة السياسية. ومرد ازدهارها إلى دواعي شتى منها ظهور الفرق الدينية، وقد اكتسى حزب الخوارج والشيعية مع الزمن ثوباً دينياً بعد أن كانا حزبين سياسيين . وهذه الفرق كانت تستعين بخطبائها في الدعوة إلى مبادئها والرد على خصومها، وكثيراً ما كانت المناظرات تقوم بين الفريقين المتنازعين .

ومما ساعد على نمو الخطابة الدينية كذلك حركة الزهد التي شهدتها العصر الأموي، فقد ظهر في ذلك العصر جماعة من الزهاد وجهوا همهم إلى وعظ الناس وصددهم عن التهالك على ملاذ الدنيا، وكان ظهور حركة الزهد رداً على انغماس عامة الناس في الشهوات، ولاسيما أولئك الذين أفاءت عليهم الفتوح أو التجارة المال الكثير. وكان في مقدمة الوعاظ الحسن البصري الذي نذر نفسه لهداية القوم وتزهيدهم في الدنيا الفانية بمواعظ بلغت الغاية في بلاغتها وقوة أثرها .

ويضاف إلى هذه الأنواع من الخطابة الدينية تلك الخطب التي كانت تلقى في المساجد أيام الجمع وفي الأعياد، وكان الوعظ غالباً على هذه الخطب إلا أنها لم تكن تخلو أحياناً من التعرض للجوانب السياسية .
وثمة خطب كان يلقيها الزهاد بين أيدي الخلفاء والولاة لتزهيدهم في الدنيا وقد أطلق عليها لفظ "المقامات"

ومن ألوان الخطابة الدينية أخيراً الخطب المتصلة بعقائد المتكلمين . وقد شهد العصر الأموي ظهور أوائل الفرق الكلامية المرجئة والقدرية والمعتزلة والجبرية، وكان لكل من هذه الفرق دعواتها الذين يروجون لعقائدها ويجادلون خصومها، وكثيراً ما كانت المناظرات تقوم بين هؤلاء، كل يدلي بحجته وأدلتها، فارتقى بذلك فن المناظرة، وهو فن لم يعرفه العرب قبل، وفي حين كانت ضروب الخطابة الأخرى قوامها العناصر العاطفية كان قوام المناظرات العناصر العقلية المنطقية، وقد بلغ هذا الفن غايته في العصر العباسي .

الخطابة الحفلية

والمراد بالخطابة الحفلية الخطب التي كانت تلقى في المحافل والمجالس والأسواق لغرض من الأغراض المتصلة بالحياة الاجتماعية كالمفاخرة والتهنئة والتعزية والتكريم والشكوى وعقد النكاح وإصلاح ذات البين ونحو ذلك . وقد حظيت هذه الخطب بقسط وفر من النماء والارتقاء في العصر الأموي لتوافر دواعيها، فكانت الوفود تقدم على الولاة والخلفاء ويقوم خطبائها فيلقون الخطب بين يدي الوالي والخليفة

في الغرض الذي قدموا من أجله. وربما اجتمع في مجلس واحد خطباء من قبائل شتى فيجري بينهم التفاخر بقبائلهم والإشادة بمآثرها. وقد شهد العصر الأموي استعمار نار العصبية القبلية على نحو لم تعرفه العصور السابقة وأدى استعمارها إلى نمو الشعر القبلي واتساع نطاقه من جانب وإلى كثرة المفاخرات القبلية من جانب آخر، ولاسيما بين خطباء العدنانية والقحطانية .

وقد ظلت الخطابة الحفلية التي كانت معروفة من قبل قائمة في العصر الأموي كخطب الإملاك وخطب إصلاح ذات البين وخطب التعزية وغيرها .

خصائص الخطابة في العصر الأموي:

كان الخطباء الأمويون يعنون بتجويد خطبهم وتحبيرها وتنميقها حتى تأتي في الصورة التي يرتضونها ولم يكونوا يرسلون الكلام عفواً على البديهة - صنيع الجاهليين - وكان من ثمره هذا التنقيح أن جاءت خطب العصر الأموي منسقة الأفكار، مرتبة الأقسام، محكمة التسلسل. وتظهر هذه السمات على نحو جلي في خطبة زياد التي قالها يوم قدم البصرة .

وكان من خطباء العصر الأموي من تعمد محاكاة أهل البادية في جزالة أسلوبهم وبداعة ألفاظهم. ويظهر الطابع البدوي في خطب الحجاج خاصة. على أن أسلوب الخطابة الأموية كان يتفاوت بتفاوت أغراضها وموضوعاتها .

وقد ظلت خصائص الخطابة التي وجدت في خطب صدر الإسلام قائمة في الخطب الأموية، ومن ذلك استهلال الخطبة بذكر اسم الله وحمده وإلا كانت بترأء وتوشيحها بأبي من القرآن الكريم وإلا كانت شوهاء، وقد يتمثل الخطيب بشيء من الشعر أو الرجز .

وربما وقع السجع في طائفة من الخطب الأموية ولكن الخطباء ما كانوا يسرفون في الإتيان به كراهية محاكاة سجع الكهان، وكان النبي وخلفاؤه يوصون الخطباء بتحامي هذا السجع .

وحين ظهرت الفرق الكلامية برزت الحاجة إلى تعليم أتباع كل فرقة أصول الخطابة ووسائل الإقناع وتدريبهم على محاجة خصومهم بالبراهين والأدلة العقلية، وظهر صدى ذلك في خطبهم ومناظراتهم من حيث خصب الأفكار وتنسيقها وعمقها واستنادها إلى المنطق وأصول الجدل .

وفي الوسع القول إن فن الخطابة لم يبلغ في أي عصر من العصور ما بلغه في العصر الأموي من النماء والنضج .

أعلام الخطباء في العصر الأموي:

ظهر في العصر الأموي عدد وفر من الخطباء في شتى ضروب الخطابة، ومن الملاحظات الهامة في هذا العصر ظهور جماعات من الخطباء تنتمي كل منها إلى أسرة واحدة. ومن هؤلاء آل ربيعة الذين ينتمون إلى قبيلة عبد القيس الربعية ومن الخطباء المشهورين في هذه الأسرة كرب بن ربيعة وابنه مصقلة بن كرب، وهو أشهر خطباء هذه الأسرة، وكان أيام الحجاج. وقد ذكر الطبري أن الحجاج لما دخل الكوفة بعد هزيمة ابن الأشعث أجلس مصقلة بن كرب إلى جانبه وأمره أن يخطب فيشتم كل امرئ بما فيه. وكان ابنه كرب بن مصقلة خطيباً مفوهاً كذلك، وكان له خطبة يقال لها «العجوز» كان آل ربيعة يفاخرون بها .

ومن الأسر التي اشتهرت بالخطابة كذلك آل الأهتم من قبيلة تميم، وهي أعرق الأسر العربية في الفن الخطابي، وعرف منها في العصر الجاهلي والإسلامي عمرو بن الأهتم [ر]، وأخوه عبد الله بن الأهتم. وكان لعبد الله ولدان اشتهرا بالخطابة في عصر بني أمية هما صفوان ابن عبد الله بن الأهتم، وعبد الله بن عبد الله ابن الأهتم. وقد ذكر أن عبد الله هذا دخل على عمر بن عبد العزيز فألقى بين يديه خطبة بليغة عرض فيها بأسلاف عمر من بني أمية .

وفي أواخر العصر الأموي ظهر من هذه الأسرة خطيبان مشهوران خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم، وشبيب بن شيبه ابن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم، وكان لهذين الخطيبين شأن كبير في العصر العباسي كذلك .

ومن الأسر القرشية التي كان لها حظ واف من الشهرة الخطابية عصرئذ آل العاص، وهم من بني أمية. ومن مشهوري خطباء هذه الأسرة سعيد بن العاص [ر]، وهو أشهر خطبائها. وعمرو بن سعيد بن عمرو بن العاص المعروف بعمر بن خولة - نسبة إلى أمه - وهو من الخطباء الذين فاخر بهم بنو أمية بني هاشم .

ومن الأسر التي اشتهرت بالخطابة الدينية في ذلك العصر أسرة فارسية الأصل تنتمي بالولاء إلى قبيلة رقاش البكرية، ومن هذه الأسرة يزيد بن أبان الرقاشي، وكان من القصاص المجيدين، وابن أخيه الفضل بن عيسى بن أبان القصاص و ابنه عبد الصمد بن الفضل الرقاشي .

إلى جانب هذه الأسر الخطابية ظهر عدد جم من الخطباء المجيدين، وقد تقدم القول إن كل حزب من الأحزاب السياسية كان يستظهر بطائفة من الخطباء للمنافحة عنه. وقد برز من الحزب الأموي خطباء من الأسرة الأموية أشهرهم معاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان، وسليمان بن عبد الملك، وعتبة بن أبي سفيان، وعمرو بن سعيد الأشدق .

وأشهر خطباء الحزب الأموي زياد بن أبي سفيان [ر]، والحجاج بن يوسف [ر]، وكلاهما من قبيلة ثقف التي كانت تستوطن الطائف. وقد تجلى نبوغ زياد الخطابي منذ أيام عمر بن الخطاب، ودعاه عمر بالخطيب المصقع. وقد مهدت له براعته البيانية والحسابية وثقافته الطريقتي لتولي الإمارة أيام علي ومعاوية، فولاه علي فارس وكرمان، وبعد مقتل علي استماله معاوية إلى صفه واستحلفه بنسبه وولاه البصرة، وهي يومئذ تموج بالفتن والاضطراب، فاستطاع بخبرته السياسية وحزمه القضاء على الفتنة وحمل أهل البصرة على طاعة بني أمية وأشاع الأمن والاستقرار فيها. وما لبث معاوية أن ضم إليه الكوفة بعد وفاة واليها المغيرة بن شعبة ، فكان أول من جمع له العراق. ولما توفي سنة 53هـ كان الأمن والهدوء يعمان أرجاء العراق .

وقد سار الحجاج بن يوسف على خطا سلفه زياد ولكنه كان أكثر ميلاً إلى البطش وسفك الدماء. ومن ولادة بني أمية الذين اشتهروا بالخطابة خالد بن عبد الله القسري [ر] وأخوه أسد، وروح بن زنباع، وعبد الله بن عامر، وبلال بن أبي بردة الأشعري، والمهلب بن أبي صفرة، وابنه يزيد، وقتيبة بن مسلم، ونصر بن سيار .

وظهر من الخوارج كثرة من الخطباء المجيدين منهم قطري بن الفجاءة [ر]، وعبيدة بن هلال اليشكري، والمستورد بن علفة، وزيد بن جندب الإيادي، وقد أشاد الجاحظ بفصاحته وبراعته الخطابية، وعمران بن حطان شاعر الصفرية وخطيبهم، وصالح بن مسرح وقد اشتهر بقصصه ووعظه لأصحابه، والضحاك بن قيس الشيباني. وأشهر خطباء الخوارج في ذلك العصر هو أبو حمزة الخارجي الإباضي [ر]، وقد انتهت إلينا طائفة من خطبه تنبئ بمهارته البيانية المتفوقة .

وبرز من رجال الحزب الشيعي عصرئذ الحسن والحسين ابنا علي رضي الله عنهم، وقد ورثا عن أبيهما البلاغة والمقدرة الخطابية. ومن خطباء الشيعة كذلك زيد بن علي، رأس الزيدية، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وحفيده عبد الله بن معاوية بن عبد الله، و صعصعة بن صوحان، والمختار الثقفي، وسليمان بن سرد زعيم التوابين، وعبيد الله بن عبد الله المري .

ومن خطباء الحزب الزبيرى المبرزين عبد الله بن الزبير، وأخوه مصعب، وعثمان بن عروة بن الزبير، وأخوه عبد الله بن عروة، وكان هذا أبرع الزبيرية وكانوا يشبهونه في بلاغته بخالد بن صفوان .

وأشهر الخطباء الدينيين عصرئذ هو الحسن البصري [ر]، ولم يحظ أحد من رجال الدين بمثل المنزلة التي حظي بها الحسن في ذلك العصر، وعلى أنه كان من أصل غير عربي فقد أجاد الخطابة إجادة العرب الخالص، وذلك لأنه نشأ نشأة عربية بين مواليه الأنصار، حتى كانوا يشبهونه بروية بن العجاج، وشهد له أبو عمرو ابن العلاء بالفصاحة فقال: «لم أر قرويين أفصح من الحسن والحجاج.» وكان الحسن يعظ فيأسر القلوب ويسيل الدموع. وكانت حلقة «صاحب العمامة السوداء» أكثر حلقات المسجد ازدحاماً بالوافدين، وكانوا يشبهون كلامه بكلام الأنبياء، ولما توفي سنة 110هـ، كانت وفاته حدثاً عظيماً في تاريخ البصرة، وقد مشى أهلها جميعاً في جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر في الجامع .

ومن فصحاء أهل الكلام وخطبائهم واصل ابن عطاء [ر]، شيخ المعتزلة، وقد بلغ من مقدرته الخطابية أنه خطب خطبة كاملة تجنب فيها حرف الراء لئلا تظهر لثغته. ومن خطباء الوعظ سحبان بن زفر الوائلي [ر] الذي ضرب المثل ببلاغته، وقد روي أنه خطب عند معاوية ذات يوم من صلاة الظهر حتى صلاة العصر. ومنهم كذلك عمر بن عبد العزيز الذي كان يكثر من وعظ الرعية، ومنهم الأوزاعي ، وإياس بن معاوية [ر]، وجامع المحاربي، وصالح المري القاص .

ومن أشهر خطباء المحافظ في ذلك العصر الأحنف بن قيس سيد بني تميم، والبعيث المجاشعي، والنخار بن أوس العذري، وصعصعة ابن صوحان .

الكتابة الإنشائية

الكتابة الإنشائية قسما كتابة رسائل ودواوين وكتابة وتدوين وتصنيف

1- كتابة الرسائل والدواوين"

كان زعماء العرب وفصحاؤهم كلهم كتاباً ينشئون بملكتهم ولو لم خطوا بيمينهم فكان النبي وأصحابه وخلفاؤه يملون كتبهم على كتابهم بعبارتهم وبعضهم يكتبها بيده، ولما اتسعت موارد الخلافة أصبحت في حاجة إلى إنشاء الدواوين لضبط ذلك، فكان عمر أول من دون الدواوين. وكان كتاب الرسائل لخلفاء وعمالهم إما عربياً أو موالي يجيدون العربية، أما كتاب الخراج ونحوه فكانوا من كل إقليم من أهله يكتبون بلغتهم، ولما نبغ من العرب من يحسن عملهم حولت هذه الدواوين إلى العربية زمن عبد الملك بن مروان والوليد ابنه وجرى الخلفاء بني أمية في كتابة الرسائل على ما كان عليه الأمر زمن الخلاء الراشدين. ثم اتسعت رقعة المملكة وقرت أمور الدولة ازدادت الأعمال وشغل الخلفاء عن أن يولوا الكتابة بأنفسهم أو بخاصة عشيرتهم، عهدوا بها إلى كبار كتابهم، وكان كثير منهم يعرف اللغة الرومية أو الفارسية أو اليونانية أو السريانية وهي لغات أمم ذات حضارة وعلوم ونظام ورسوم. ومن هؤلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك أحد الواضعين لنظام الرسائل، وأستاذ عبد الحميد الكاتب الذي آلت إليه زعامة الكتابة الآخر الدولة الأموية.

مميزات الكتابة الإنشائية

وتمتاز الكتابة في هذا العصر بالمميزات الآتية: (1) الاقتصار في أغراضها على القدر الضروري، والاقتصار في معناها على الإلمام بالحقائق وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويل، واستعمال الألفاظ الفحلة والعبارات الجزلة، والأساليب البليغة إذا كان الكاتب والمكتوب إليه عرباً فصحاء.

(2) مراعاة الإيجاز غالباً إلا حيث يستدعي الحال الإسهاب، وبقي الأمر على ذلك حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخر الدولة الأموية، فأسهب الرسائل وأطال التحميدات في أولها، وسلك طريقه من أتى بعده.

الكاتب

كتاب هذا العصر كثيرون، وقد كانت الخلفاء والأمراء والقواد كلهم كتاباً بلغاء، ولما صارت الكتابة صناعة، تداولها كثير من الأعاجم وغيرهم: واشتهر من بين هؤلاء.

عبد الحميد بن يحيى الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري الشامي شيخ الكتاب الأوائل. كان عبد الحميد في أول أمره معلم صبيان حتى فطن له مروان بن محمد أيام توليته أرمينية فكتب له مدة ولايته حتى إذا بلغه مبايعة أهل الشام له بالخلافة سجد مروان له شكراً وسجد أصحابه إلا عبد الحميد، فقال مروان لم لا تسجد؟ فقال ولم أسجد؟ أعلى أن كنت معنا فطرت عنا، قال إذا تطير معي قال الآن طاب لي السجود وسجد، فاتخذه مروان كاتب دولته. لما دهمت مروان جيوش خراسان أنصار الدعوة العباسية وتوالت عليه الهزائم كان عبد الحميد يلازمه في كل هذه الشدة، فقال له مروان قد احتجت أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي، فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابك يحوجهم إلى حسن الظن بك، فإن استطعت أن تنفني في حياتي وإلا لم تعجز حفظ حرمي بعد وفاتي، فقال له: إن الذي أشرت به عليّ أنفع الأمرين لك وأقبحهما بي، وما عندي إلا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك وأنشد:

أسرُّ وفاء ثم أظهر غدرة فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

وبقي معه حتى قتل مروان سنة 132 هـ؟، وأخذ عبد الحميد إلى السفاح فقتله سنة 132 هـ؟.

منزلته في الكتابة:

هو الأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل وذلك أنه أول من مهد سلبها، وميز فصولها، وأطالها في بعض الشؤون، وقصرها في بعضها الآخر وأطال التحميدات في صدرها وجعل لها صوراً خاصة ببديتها وختمها على حسب الأغراض التي تكتب فيها، ويقال إنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب إليه مروان كتاباً يستجلبه وضمنه ما لو قرئ لأدى إلى وقوع الخلاف والفشل، وقال لمروان: قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدبيره فإن يك ذلك وإلا فالهلاك، وكان الكتاب لكبر حجمه يحمل على جمل، فلما وصلا الكتاب إلى داهية خراسان أبي مسلم أمر بإحراقه قبل أن يقرأه وكتب على جذاذة منه إلى مروان:

محا السيف أسطارَ البلاغة وانتحي عليك ليوثُ الغاب من كلّ جانب

(أنظر صفحة 61)

2- التدوين والتصنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ولم يدون فيه كتاب إلا ما كان من أمر المصحف، وكان مرجع الناس في أمر دينهم دنياهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله، فإذا اشتبه عليهم أمر من أمور الدين رجعوا إلى الخلفاء وفقهاء الصحابة.

ولما انتشر الإسلام زمن بني أمية واختلطت العرب ففسدت فيهم ملكة اللسان العربي وفشا اللحن وأشفقوا على القرآن من التحريف وعلى اللغة من الفساد دونوا النحو وكان أول من كتب فيه أبو الأسود الدؤلي وقد تلقى مبادئه عن الإمام علي، وأخذ عنه فتیان البصرة وخصوصاً الموالي إذ كانوا أحوج الناس إلى النحو واشتغل أهل الكوفة به ب أن فشا بالبصرة ولم ينقض هذا العصر حتى استغل به طبقتان من البصريين وطبقة من الكوفيين، ثم لما حدثت الفتن وتعددت المذاهب والنحل وكثرت الفتاوى والرجوع فيها إلى رؤساء ومات أكثر الصحابة، خافوا أن يعتمد الناس على رؤسائهم ويتركوا سنة رسول الله فأذن أمي المؤمنين عمر بن عبد العزيز لأبي بكر محمد بن عمرو بن حزم في تدوين الحديث، انقضى هذا العصر ولم يدون فيه من علوم اللغة والدين غير النحو وبعض الحديث وبعض التفسير، وأما العوم الأخرى فيروى أن خالد بن يزيد بن معاوية حيب إليه مطالعة كتب لأوائل من اليونان فترجمت له ونبغ فيها ووضع كتباً في الطب والكيمياء، وأن معاوية استقدم عبيد بن شربة من صنعاء فكتب له كتاب "الملوك وأخبار الماضين" وإن وهب بن منبه الزهري وموسى بن عقبة كتباً في ذلك أيضاً كتباً، وأن زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً في مثال قبائل العرب، وأن ماسرجويه متطبب البصرة تولى في الدولة مروانية ترجمة كتاب أهرون بن أعين من السريانية إلى العربية وأن يونس الكاتب بن سليمان ألف كتاباً في الأغاني ونسبتها إلى من غنى فيها ولم يبلغ التصنيف شأواً يذكر.

تطور الكتابة

عرف العرب الكتابة منذ العصر الجاهلي لتوافر الحاجة إليها، إذ كانوا يحتاجون إليها في كتابة العهود ومواثيق الأحلاف وصكوك التعامل والتبادل التجاري، وفي كتابة الرسائل، وغير ذلك. وقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى القلم والكتابة نحو قوله تعالى: (ن، والقلم وما يسطرون) (سورة القلم، الآية 1). وكذلك نجد في الشعر الجاهلي ما يدل على معرفة الجاهليين بالكتابة.

إلا أن الكتابة لم تكن شائعة عصرئذ، إذ كان جل العرب على الأمية، وكانت الكتابة منتشرة في البيئات الحضرية أكثر من انتشارها في البيئات البدوية. وقيام الدولة الإسلامية ازدادت الحاجة إلى الكتابة لتلبية متطلبات الدين الجديد، وانصرفت طائفة من كتاب الرسول إلى كتابة الوحي، في حين غني آخرون بكتابة الرسائل. وقد ذكرنا أن الكتابة في تلك الحقبة كانت بسيطة موجزة بعيدة عن التعقيد والزخرف.

فلما جاء العصر الأموي تعقدت الحياة وتطور المجتمع الإسلامي واتسعت رقعة الدولة فوجدت الحاجة إلى إنشاء الدواوين. وكان إنشاؤها قد بدأ في عهد عمر بن الخطاب الذي أنشأ ديوان العطاء، فلما جاء الأمويون أوجدوا دواوين أخرى كديوان الرسائل وديوان الجيش وديوان الخاتم.

ورافق إنشاء الدواوين بدء حركة التدوين، فجمعت طائفة من الأخبار والسير والأشعار، وكتبت رسائل من موضوعات شتى.

وقد ظهر في عصر بني أمية كتاب احترفوا صنعة الكتابة، وكان لكل خليفة ولكل وال كتابه. وكان ديوان الخراج يكتب أول الأمر بلغة الدولة التي كانت قائمة قبل الفتح، فكان يكتب بالعراق بالفارسية، وبالشام

بالرومية، وكان يتولاه الموالي من الفرس والروم وغيرهم، وفي عهد عبد الملك بن مروان عرب هذا الديوان .

أما ديوان الرسائل فكانت لغته العربية منذ إنشائه، وكان يقوم عليه كتاب من العرب أو من الموالي الذين أجادوا العربية. ومن الكتاب المبرزين في ذلك العصر عمرو بن نافع كاتب عبيد الله بن زياد، وجناح كاتب الوليد بن عبد الملك، وعبد الحميد الأصغر كاتب سليمان بن عبد الملك، والليث بن رقية كاتب عمر بن عبد العزيز، وسالم مولى هشام بن عبد الملك، وعبد الحميد الكاتب [ر] [كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وهو أشهرهم .

كانت الكتابة تجري أول الأمر على السنن الذي كانت عليه في صدر الإسلام من حيث توخي البساطة والإيجاز ومجانبة التنميق والزخرف، ولكن تطور الحياة الاجتماعية والعقلية من جانب، وتولي الموالي - من الفرس خاصة - مقاليد الكتابة من جانب آخر، كل ذلك أدى إلى تطور فن الترسل وتعدد أدواته .

وقد تأثر الكتاب الموالي بمناهج الكتابة وأساليب التعبير في لغاتهم الأصلية، فظهرت في طرائقهم الكتابية سمات لم تعرفها الكتابة العربية من قبل، ومن ذلك إطالة الرسائل والتكرار والترادف والإسراف في التنميق والصنعة. وأول من عرف بإطالة الرسائل عمرو بن نافع كاتب عبيد الله بن زياد، ولم يكن ابن زياد راضياً عن طريقتهم الكتابية التي تغيير ما ألفه العرب .

ثم جاء سالم كاتب هشام بن عبد الملك فنهض بفن الكتابة الديوانية، ويقال إنه كان ملماً باللغة اليونانية وإن ما أوجده من سمات جديدة في الكتابة العربية مرده إلى تأثره بتلك اللغة، وهو قول يفتقر إلى ما يؤيده، ولم يصلنا من رسائل سالم إلا رسالة كتبها على لسان هشام إلى خالد القسري عامله على العراق .

وعلى يد سالم هذا تخرج عبد الحميد الكاتب، وهو يمت إليه بصلة القربى. كان عبد الحميد مولى العلاء بن وهب القرشي، وهو فارسي الأصل، وكان في أول أمره ينتقل في البلدان ويعلم الصبيان في الكتاتيب، ثم التحق بديوان الرسائل بدمشق في عهد هشام بن عبد الملك وتخرج على يد زوج أخته سالم في فن الترسل. وقد اتصل بمروان بن محمد منذ عهد هشام وكتب له، فلما صارت الخلافة إليه اتخذ كاتباً لرسائله، ولازمه عبد الحميد حتى آخر أيامه وأبى أن يتخلى عنه يوم أحيط به فقتل معه، وتذهب رواية أخرى إلى أنه توارى عند صديقه ابن المقفع ثم عثر عليه فقتل .

وعلى يد عبد الحميد تطور فن الترسل وبلغ غاية بعيدة من النضج، وجمهور الباحثين على أن الكتابة الفنية إنما وجدت على يده، ولهذا قيل: «فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد» وقد انتهت إلينا طائفة من رسائله القصيرة والمطولة وتوقيعاته .

وأبرز ما تتسم به كتابة عبد الحميد إطالة التحميدات في صدور الرسائل، والإكثار من الترادف، والعناية بالتصوير الفني وبالجانب الموسيقي، وذلك من طريق اختيار الألفاظ والتوازن بين الجمل، والإتيان بالسجع أحياناً. وهو يسرف في استعمال صيغة الحال. وكتابته بعيدة عن البساطة والعفوية اللتين عهدتا في الكتابة العربية من قبل وأثر الجهد والتكلف فيها واضح، وهو يسرف في تنميق رسائله وزخرفتها بألوان الصنعة

DETAILED STUDY

امرؤ القيس

امرؤ القيس بن حجر الكندي واسمه خُندج (520 م - 565 م) أحد أشهر شعراء العصر الجاهلي رأس الطبقة الأولى من الشعراء العرب والتي تشمل النابغة الذبياني و الأعشى وغيرهم. وأحد أصحاب المعلمات السبعة المشهورة. كان من أكثر شعراء عصره خروجاً عن نمطية التقليد، وكان سابقاً إلى العديد من المعاني والصور. و امرؤ القيس صاحب أوليات في التشبيه والاستعارات وغير قليل من الأوصاف.

نسبه

وله ثلاث كنى وهي : أبو وهب وأبو الحارث وأبو زيد. اشتهر بلقب امرئ القيس ومعناه " رجل الشدة ". لقبه محمد بن عبد الله بالملك الضليل وعرف بذي القروح لإصابته بالجذري خلال عودته من القسطنطينية وتوفي بسببه.

و كندة قبيلة قحطانية من قبائل كهلان مواطنها الأصلية حضرموت و عُمان. أقاموا دولة في عام خمس مئة وخمس وعشرين للميلاد في حضرموت على أنقاض حمير وأكملوا مسيرهم شمالاً حتى أسس بنو معاوية دولتهم في نجد. وولد شاعرنا هذا في نجد في اليمامة عند أخواله من بنو تغلب.

نشأته

ولد في نجد ونشأ ميالاً إلى الترف واللهو شأن أولاد الملوك وكان يتهتك في غزله ويفحش في سرد قصصه الغرامية وهو يعتبر من أوائل الشعراء الذين ادخلوا الشعر إلى مخادع النساء. كان ماجناً كثير التسكع مع صعاليك العرب ومعاقراً للخمر. سلك امرؤ القيس في الشعر مسلكاً خالف فيه تقاليد البيئة، فاتخذ لنفسه سيرة لاهية تأنفها الملوك. وقال ابن قتيبة : هو من أهل كندة من الطبقة الأولى. كان يعدّ من عشاق العرب، ومن أشهر من أحب هي فاطمة بنت العبيد العنزوية التي قال فيها في معلقته الشهيرة:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

موت والده: أنه قال بعد فراغه من اللهو ليلة مقتل أباه على يد بني أسد : ضيعني صغيراً, وحملني دمه كبيراً. لا صحو اليوم ولا سكر غدا. اليوم خمر وغدا أمر أنشد شعراً وهو في دمون واد في حضرموت قال فيه:

تطاول الليل علينا دمون *** دمون إنا معشر يمانون

فلبس رداء الحرب في اليوم التالي وإتجه صوب بني أسد فخافوا منه وحاولوا استرضاءه إلا أنه لم يرض وقاتلهم حتى أثنخ فيهم الجراح وفاحت رائحة الجثث.

نهاية حياته: لم تكن حياة امرؤ القيس طويلة بمقياس عدد السنين ولكنها كانت طويلة جداً بمقياس تراكم الأحداث وكثرة الإنتاج ونوعية الإبداع. لقد طوف في معظم أرجاء ديار العرب وزار كثيراً من مواقع القبائل بل ذهب بعيداً عن جزيرة العرب ووصل إلى بلاد الروم إلى القسطنطينية ونصر واستنصر وحارب وثأر بعد حياة ملأتها في البداية باللهو والشراب ثم توجه بالشدة والعزم إلى أن تعب جسده وأنهك وتفشى فيه وهو في أرض الغربية داء كالجذري أو هو الجذري بعينه فلقي حتفه هناك في أنقرة سنة

لا يكاد يجمع على تحديدها المؤرخون وان كان بعضهم يعتقد أنها سنة 540م، وقبره يقع الآن في تلة هيديرليك بأنقرة.¹

لقد ترك خلفه سجلا حافلا من ذكريات الشباب وسجلا حافلا من بطولات الفرسان و عددا من القصائد والمقطوعات التي جسدت في تاريخ شبابه ونضاله وكفاحه. وعلى الرغم من صغر ديوان شعره الذي يضم الآن ما يقارب مئة قصيدة ومقطوعة إلا أنه جاء شاعراً متميزاً فتح أبواب الشعر وجلا المعاني الجديدة ونوع الأغراض واعتبره القدماء مثالا يقاس عليه ويحتكم في التفوق أو التخلف إليه.

ولذلك فقد عني القدماء بشعره واحتفوا به نقداً ودراسة وتقليداً كما نال إعجاب المحدثين من العرب والمستشرقين، فأقبلوا على طباعته منذ القرن الماضي، القرن التاسع عشر في سورية ومصر وفرنسا وألمانيا وغيرها من البلدان التي تهتم بشؤون الفكر والثقافة.

معلقة امرؤ القيس

هذه المعلقة هي أشهر المعلقات الجاهلية وأكملها دربة فنية وأقصاها بعدا نفسيا يقص فيها نفسه في عواطفه، وخواطره وتأملاته، باكيا ظلل الحبيبة، ذاكرا أيام لهوه ومجونه مع صواحيبه، متأرجحا بين الذكرى الوجدانية والشهوة الإباحية، ويتدرج في ذلك إلى وصف تسلله إلى مخدع حبيبته، مستحضرا لها صورة جمالية مستمدة من معالم الطبيعة في جمادها ونباتها، وحيوانها، خالعا عليها صفة الكمال والمثال، ومن مناجاة الحبيبة، ووصفها، يعرض لليل فإذا هو دليل حسي نفسي يمتزج فيه العالم الداخلي بالعالم الخارجي، ويتحد سواد الليل بسواد الهموم، بعد أن يتمثله على حدقة الخيال. ويصف الفرس أيضا بأوصاف معينة في الدقة والجزئية، وفرسه هو أبدا مطية للصيد واللهو وفي هذه القصيدة إلمام بحركات الطبيعة وتنفساتها، وثورة عناصرها، ينظر إلى البرق والمطر الذي سرعان ما يتحول إلى سيل يبعث الخراب والدمار مقتلعا الأشجار، هادما البيوت، مخلفا أثره ما يخلف الطوفان. تبدأ:

ققا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

توضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجته من جنوب وشمال²

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي³

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل⁴

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل⁵

فيا لك من ليل، كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت ببذبل⁶

1 أنقرة بالتركية (Ankara): هي عاصمة تركيا وثاني أكبر مدنها بعد إسطنبول

2 توضح والمقراة موضعان، ويقال المقراة: غدير يجتمع فيه الماء، قريت الماء: إذا أنت جمعت، والمقراة أيضا الجفنة تتخذها العرب للطعام والشمال والشمال والشمل واحد.

3 قوله كموج البحر أي في كثافة ظلمته، وسدولة أطرافه، وقيل ستوره واحده سدل، سدل ثوبه إذا أرخاه، ولم يضمه، وقوله: بأنواع الهموم أي يطردها كالحرز والجزع ونحوه والباء بمعنى مع، ليبتلي أي لينظر ما عندي من الصبر، ويبتلي بمعنى ليختبر، ومعنى البيت أنه يخبر أن الليل قد طال عليه وسدوله ينتصب بمرخ وعلي تتعلق بمرخ وكذلك الباء بأنواع الهموم.

4 تمطى: امتد، وروى الأصمعي لما تمطى بجوزه أي امتد بجوزه، والجوز: الوسط وأردف أعجازا أي رجع.

5 ومعنى البيت أنا معذب والليل والنهار عندي سواء. الانجلاء هو الانكشاف كقوله [تعالى] (ولا يجليها لوقتها إلا هو) أي لا يكشفها ويروى: وما الإصباح منك بأمثل فمنك ينوي بها التأخير، لأنها في غير موضعها لأن حق "من"، أن تقع بعد أفعل.

6 معناه: كأن نجومه شدت ببذبل وهو جبل، والمغار المحكم الفتل، ويقال أغرت وفي قوله: فيا لك من ليل فيه معنى التعجب كما تقول فيا لك من فارس.

بأمراس كتان إلى صم جندل ¹	كان الثريا علقت في مصامها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل ²	وقد أعتدي والطير في وكناتها
كجلمود صخر حطه السيل من عل ³	مكر مفر مقبل مدبر معا
كما زلت الصفواء بالمتنزل ⁴	كميت يزل اللبد عن حال متنه
إذا حاش حميه غلي مرجل ⁵	على الذبل جياش كأن اهتزاه
أثرن الغبار بالكديد المركل ⁶	مسح إذا ما السابحات على الونى
ويلوي بأثواب العنيف المتقل ⁷	يزل الغلام الخف عن سهواته
تتابع كفيه بخيط موصل ⁸	درير كخزروف الوليد أمره
وإرخاء سرحان وتقريب تنقل ⁹	له أيطلا ظبي وساقا نعامة
بضاف فويق الأرض ليس بأعزل ¹	ضليع إذا استدبرته سد فرجه

- 1 مصامها: موضعها، والأمراس الحبال، واحدها مرس، ويروى كأن نجوما علقت والجندل: الحجارة، والصم: الصلاب، وفيه تفسيران: أحدهما أنه يصف طول الليل بقول كان النجوم مشدودة بحبال إلى حجارة فليست بمعنى. ومصامها هو مواضع وقوفها وفي البناء وإلى متعلقة بقوله علقت. والتفسير الثاني على رواية من يروى هذا البيت مؤخرا عند صفة الفرس بحبال كتان إلى صم جندل وشبه حوافره بالحجارة.
- 2 أعتدي: أخرج غدوة، والطير ساكنة لم تطر، ويروى في وكراتها، والوكر حيث يسقط الطائر للمبيت أي موضعها التي تبيت فيها، والوكر أيضا: مواضع العش، والوكنات في الجبال كالتماريد في السهل واحدها تمراد وهو برج صغير للحمام الواحدة وكنة، وكذلك وكنات فهي جمع الجمع، والواو في الطير واو الحال والجملة في موضع نصب حال، يقول قد أعتدي في هذه الحال بفرس منجرد فأقام النعت مقام المنعوت أي قصير الشعر والأوابد الوحش، وكذلك أوابد الشعر وتقديره قيد الأوابد تقبيد ذي الأوابد ثم حذف ذي الأوابد. والمعنى أن هذه الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد. وهذا الكلام جيد بالغ لم يسبقه إليه أحد والهيكل الضخم.
- 3 أي يصلح للكر والفز، إذا أقبل حسن الإقبال وإن أدبر حسن الأدبار، وقوله معا أي عنده هذا وعنده هذا، كما يقال فارس راجل أي قد جمع هذين والجلمود الصخرة الملساء التي ليست بالكبيرة، وحطه أي حدره السيل بقوته، من عل أي من مكان عال، ومعنى هذا البيت أنه يصف أن هذا الفرس في سرعته بمنزلة هذه الصخرة التي حطها السيل في سرعة انحدارها وأن هذا الفرس حسن الإقبال والإدبار كهذه الصخرة.
- 4 حال متنه: موضع اللبد وإضافة إلى المتنزل الذي ينزل منه لقربه منه والمتن ما اتصل بالظهر من العجز يذكر ويؤنث والمتنزل الطائر الذي ينزل على الصخرة، فيحطه السيل وقيل المتنزل السيل لأنه ينزل الأشياء. وقيل هو المطر، والصفواء الصخرة الملساء وقد تكون الصفواء جمع مصفاة كما قالوا طرفة، وطرفاء وقصبة وقصباء، وخلقة، وخلقاء وذكر الفراء خلفه بكسر اللام كل هذا اسم للجمع لأنه لا ينقاس في نظائره ويروى عن حاد متنه: أي وسطه. شبه ملامسة ظهر الفرس لإكثار اللحم عليه، وامتلائه بالصفة الملساء ويقال صفوان وجمعه صفوان، وجمع صفاة صفا.
- 5 الذبل: الضمور ويروى على الضمر، الجياش الذي يجيش في عدوه كما تجيش القدر في غليانها وهو بمعنى الكثير مبالغة في جاش، وجاش البحر جيشان إذا ماجت أمواجه. ويروى على المضممر الجياش، واهتزاه: صوته بشدة، وحميه: غليه. ويروى على العقب جياش، والعقب جري بعد جري، وقيل معناه إذا حركته بعقبك جاش وكفى ذلك من السوط وعلى العقب في موضع الحال. ومعنى هذا البيت أن هذا الفرس آخر عدوه على هذه الحال فكيف أوله؟
- 6 مسح: سريع يسح أي يصب العدو في جريه صبا والسابحات اللواتي كأن عدوها من سباحة والسباحة في الجري أي تدحوا بأيديها دحوا أي تبسطها، والونى الفتور قال الفراء يمد ويقصر والكديد الأرض الغليظة الصلبة وقيل ما كد من الأرض بالوطء والمركل الموطوء بالحوافر أي يركل بالأرجل ومعنى البيت أن الخيل السريعة إذا فترت فآثارت الغبار بأرجلها من التعب جرى هذا الفرس سهلا مهلا كما يسح السحاب المطر وعلى تتعلق بأثرن وكذلك الباء في الكديد.
- 7 يزل: يزلق، الخف: الخفيف، سهواته، جمع سهوة، وهي موضع اللبد، ويروى يزل الغلام والمعنى يزل الفرس الغلام الخف وقال عن سهواته، وإنما هي سهوة واحدة والتقدير أنه جمعها بما حوالبه، ومعناه أن هذا الفرس إذا ركبه الخفيف لم يتمالك أن يصلح شيئا عليه وإذا ركبه الغلام زل عنه وزاغ الفرس من تحته وإنما يصلح له من يداريه.
- 8 أي مندر في العدو، وقيل الدرير السريع، والخزروف الحرارة التي يلعب بها الصبيان يسمع لها صوت، والإمرار الفتل، وقيل هي النشابة والإمرار إسراع الفتل، وإحكامه بقوة ومنه قوله تعالى (ذو مرة فاستوى) والوليد الصبي وقوله بخيط موصل قد لعب به حتى خف ولمس فيقطع ويوصل.
- 9 الظبي هنا اسم جبل، والأيطلان الخاصرتان، والإرخاء جرى فيه سهولة والسرحان الذئب والتقريب دون العدو، وهو أن يرفع يديه معا، ويضمهما معا، والتنقل ولد الثعلب، وها هنا التنقل وهو الثعلب نفسه، وإنما شبه عدو الفرس بعدو من كل جهة لأنه يقال نداءبت الريح من كل جهة إذا جاءت، وله أسماء يقال ذئب، وسرحان، وسلق، وأويس، وسيد، وقد أوضناه في غرر المعارف ودرر العوارف. ويقال لولد الثعلب تنقل بفتح التاء وضم الفاء وتنقل بضم التاء وفتح الفاء ولو سميت الرجل يتنقل أو تنقل لم تصرفه في المعرفة لأنه على مثال تفعل وتفع ولو سميته بتنقل لصرفته في المعرفة والنكرة لأنه ليس في الأفعال تفعل وقوله ساقا نعامة ومعناه أنه قصير الساقين، صلبهما كالنعامة وذلك محمود في الخيل.

مداك عروس أو صلاية حنظل ²	كأن على المتنين منه إذا انتحى
عصارة حناء بشيب مرجل ³	كأن دماء الهاديات بنحره
عذارى دوار في ملاء مذبل ⁴	فعن لنا سرب كأن نعاجه
بجيد معم في العشييرة مخول ⁵	فأدبرن كالجزع المفصل بينه
جواحرها في صرة لم تزل ⁶	فألحقه بالهاديات ودونه
صفيش شواء أو قدير معجل ⁷	فظل طهاة اللحم ما بين منضج
متى ما ترق العين فيه تسهل ⁸	ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه
وبات بعيني قائما غير مرسل ⁹	فبات عليه سرجه ولجامه

عنتره بن شداد

هو عنتره بن شداد بن قراد العبسي. أمه زبيبة، حبشية سوداء سبأها أبوه في إحدى غزواته. وكان لها أولادا من غير شداد.

كان عنتره أسود اللون، أخذ السواد من أمه، وكان يكتى بأبي المغلس لسيره إلى الغارات في الغلس وهو ظلمة الليل. ويلقب بعنتره الفلحاء.

وعنتره من فرسان العرب المعدودين وبطل داحس وغبراء¹⁰، ولم يلقب عن عبث بعنتره الفوارس، قال ابن قتيبة:

كان عنتره من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده، وقد فرق بين الشجاعة والتهور.

1 الضليح: القوي المنتفخ الجنين، وقيل الضليح الشديد، وقيل هو الذي يضلح بما حمل وفرجه ما بين رجليه، يضاف أي ذنب طويل والأعزل الذي ذنبه في شق وهو عيب في الخيل.

2 متن: ظهره، المداك: الحجر الذي يسحق به الطيب، الصلاية التي يسحق عليها المبيد، وهو الحنظل، ويروى صراية حنظل وهي الحنظلة الخضراء.

3 الهاديات: المقدمات وهادي كل شيء أوله ونحره أعلى صدره ومرجل: مسرح.

4 عن اعتراض قال أبو العباس محمد بن يزيد السرب القطيع من البقر والظباء والنساء ولا يستعمل في غير القطيع إلا الفتح. وقال غيره السرب: القطيع من الظباء والبقر خاصة وهو هنا البقر، ودوار اسم صنم في الجاهلية كانوا يطوفون حوله وهم عراة، وأتى بعضهم إلى بني عدي فوجدهم يطوفون بدوار عراة فأعجبه ما رأى من محاسن النساء.

5 قال أبو عبيدة الجزع الخرز فيه بياض وسواد، فالوسط أبيض، والطرفان أسودان إلى الطول، وذلك أن البقر بيض القوائم. ومع مخول كريم العم والخال وذو العم والخال، وأضاف إليه الجزع لأن الجزع أصغر الخرز.

6 الجواحر: اللواتي قد تخلفن، والجاحر المتخلف حتى أدرك، فالحقه، لحق الفرس والغلام بالهاديات، ودونه المتخلفات والصرة: الجماعة، ويقال الصرة الصيحة والضجة وقيل الشدة.

7 الطهاة: الطباخون واحدهم طاه، والصفيش الذي صفف مرققا على الجمر والطبخ ما طب في قدر وأما خفض قدير فأجود ما قيل فيه وأجاز سبويه أنه كان يجوز أن يقول من منضج صفيش شواء. فحمل قديرا على صفيش، لو كان مجرورا.

8 أراد بالطرف العين، والطرف يكون المصدر، ورحنا أي رجعنا بالعشي، ويروى ورحنا يكاد الطرف بالكسر ينفض رأسه، ومعنى يقصر دونه؛ أنه إذا نظر إلى هذا الفرس أطال النظر، إلى ما ينظر منه حسنه، فلا يكاد يستوفي النظر إلى جميعه، ويحتمل أن يكون معناه أنه إذا نظر إلى هذا الفرس لم يدم النظر إليه لئلا يصيبه بعينه لحسنه. وقوله متى ما ترق العين بفتح التاء والراء والقاف، ويجوز فتح التاء وكسر الراء، وضم القاف أي متى ما نظر إلى أعلاه نظر إلى أسفله بكماله، ليستقيم النظر إلى جميع جسده.

9 وقوله عليه سرجه ولجامه في محل نصب خبر بات، وبات الثاني معطوفاً على الأول وبعيني خبره؛ أي بحيث أراه، وقائما في محل نصب على الحال، وغير مرسل إلى غير منهل ومعناه: أنه لما جاء به من الصيد، لم يرفع عنه سرجه وهو عرق ولم يقلع عنه لجامه فيعلف على التعب فيؤذيه ذلك.

ويعجز أن يكون معنى: فبات عليه سرجه ولجامه لأنهم مسافرون، كأنه أراد العدو فكان معدا لذلك، فبات على الهيئة ليرسل في وجه الصبح

¹⁰ حنا الفاخوري - جامع في تاريخ الأدب العربي ص-205

وكانت أمه أمة حبشية تسمى زبيبة، وأبوه من سادات بني عبس. وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها، بل تجعله في عداد العبيد ولذلك كاطن عنتره عند أبيه منوذاً بين عبدانه، يرضى له إبله وخيله فرباً بنفسه عن خصال العبيد، ومارس الفروسية ومهر فيها، فشب فارساً شجاعاً هماماً وكان يكره من أبيه استعباده له عدم إلحاقه به، حتى أغار بعض العرب على عبس واستاقوا إبلهم، ولحققتهم بنو عبس وفيهم عنتره لاستنقاذ الإبل، فقال له أبوه: كر يا عنتره فقال: العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر، فقال كر وأنت حر، فقاتل قتالاً شديداً حتى هزم القوم واستنقذ الإبل، فاستحلقه أبوه. ومن ذلك الوقت ظهر اسمه بين فرسان العرب وساداتها وطال عمر عنتره حتى ضعف جسمه وعجز عن شن الغارات ومات قبيل البعثة.

شعره: لم يشتهر عنتره أول أمره بشعر غير البيتين والثلاثة، وإنما غلبت عليه الفروسية مكتفياً بها حتى عيره يوماً بعض قومه بسواده وأنه لا يقول الشعر فاحتج لسواده بخلقه وشجاعته، واحتج لفصاحته بنظم معلقته المشهورة التي كانت تسمى المذهبة أيضاً وأولها

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وقد ضمنها خصاله ومكارم قومه. وحسن دفاعه عنهم ووفرة جوده، معرجاً فيها على أوصاف أمور شتى.

أحب عنتره عبلة بنت عمه مالك بن قراد العبسي، وكان عمه قد وعده بها ولكنه لم يف بوعده، وإنما كان يتنقل بها في قبائل العرب ليبعدها عنه. وحب عبلة كان له تأثير عظيم في نفس عنتره وشعره، وهي التي صيرته بحبها، ذلك البطل المغامر في طلب المعالي، وجعلته يزدان بأجمل الصفات وأرفعها، وهي التي وققت شعره كما رقت عاطفته، ونفحته بتلك العذوبة، وكان سبب تلك المرارة واللوعة اللتين ربما لم تكونا في شعره لولا حرمانه إياها.

لعنتره شخصية محبوبة لأن كل ما فيها من الصفات يجعل صاحبها قريباً من القلوب: فهو بطل شجاع جريء الفؤاد، حلیم الطباع، رقيق القلب، يشكو في حظه العائر في الحب ومن ظلم قومه له، وإنكارهم جميل فعله نحوهم.

أما في موت عنتره فهناك روايات كثيرة أشهرها ما رواه صاحب الأغاني، قال: إن عنتره أغلى على بني نبهان فأطرد لهم طريدة، وهو شيخ كبير. وكان وزر بن جابر النبهاني الملقب بالأسد الرهيص في فتوه فرماه وقال: خذها، وأنا ابن سلمى، فقطع مطاه أي ظهره، فتحامل بالرمية حتى أتى أهله وهو مجروح. وبذلك تكون نهاية عنتره حسب هذه الرواية.

معلقة عنتره بن شداد العبسي:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم¹

1 متردم: من قولك ردمت الشيء إذا أصلحته، ومعناه: هل أبقى لأحد معنى إلا وقد سبقوا إليه. وهل تهيأ لأحد أن يأتي بمعنى سبق إليه، ويروى من متردم والترنم صوت ترجعه بينك وبين نفسك، وقوله أم هل إنما دخلت أم على هل: وهما حرفا استفهام، لأن هل ضعفت في حروف الاستفهام فأدخلت عليها أم كما أن لكن ضعفت في حروف العطف. لا تكون مثقلة ومخففة وعاطفة، فلما لم تقف حروف العطف، أدخلت عليها الواو، ونظيره ما حكى عن الكسائي: أنه يجيز جاء في القوم إلا حاشا لأن حاشا ضعفت عنده إذا كانت تقع في غير الاستثناء ويروى: أم هل عرفت الربع، والربع المنزل في الربيع، ثم كثر استعمالهم حتى قالوا: لكل منزل ربع وإن لم يكن في الربيع وكذلك الدار من التدوير، ثم كثر استعمالهم حتى قيل لكل دار، إن لم يكن مدورا والتوهم: قل هو الابتكار ويحتمل أن يكون الظن.

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك	إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزال على رحالة سابح	نهد تعاوره الكماة مكلّم ¹
طورا يجرّد للطعان وتارة	يأوي إلى حصد القسي عرمرم ²
يخبرك من شهد الوقائع أنني	أغشى الوغى وأعف عند المغنم
ومدجج كره الكماة نزاله	لا ممعن هربا ولا مستسلم ³
جادت يداي له بالعاجل طعنة	بمتقف صدق الكعوب مقوم ⁴
برحبية الفرغين يهدي جرسها	بالليل معتس الذناب الضرم ⁵
فشككت بالرمح الأصم ثيابه	ليس الكريم على القنا بمحرم ⁶
فتركته جزر السباع ينشنه	يقضمن قلة رأسه والمعصم ⁷
ومشك سابغة هتكت فروجها	بالسيف عن حامي الحقيقة معلم ⁸
ربذ يده بالقداح إذا شتا	هتاك غايات التجار ملوم ⁹
لما رأني قد نزلت أريده	أبدى نواجذه لغير تبسم
فطعنته بالرمح ثم علوته	بمهند صافي الحديدية مخذم ¹⁰
عهدي به مد النهار كأنما	خضب البنان ورأسه بالعظم ¹¹
بطل كأنه ثيابه في سرحة	يحذى نعال السبت ليس بتوأم ¹²
نبئت عمرا غير شاكر نعمتي	والكفر مخبئة لنفس المنعم ¹

¹ الرحالة = السرج ، نهد= الغليظ ، تعاور = تداول

² العرمرم: الكثير: الشديد.

³ نزاله: منازلته في الحرب، لا ممعن أي مسرع، فيذهب ويعدو هربا ولا يسلم نفسه.

⁴ صدق أي صلب، الكعوب جمع كعب وهي أنبوب الرمح والجمع أنابيب.

⁵ الرحبية الواسعة: الفرغين: تنثية الفرغ، وهي مدافع الماء إلى الأودية الجرس: الصوت، المعتس من الذناب: الطالب. الضرم جمع ضارم الجياح.

⁶ الكريم: الشريف السيد الفاضل ومنه قوله تعالى (ولقد كرمتنا بني آدم) ويقال للصبوح الكريم لتفضله قال تعالى (إن ربي غني كريم) ويقال للكثير كريم قال تعالى (ورزق كريم) ويقال للحسن كريم لقوله تعالى (ومقام كريم) وقوله ليس الكريم أي ليس يمنعه كرمه من أن يقتل بالقنا فما عليه ذلك بحرام.

⁷ يقال: جزرته السباع، إذا تركته جزرا له، والجزر الشحم، والجزر الشاة، والجزر الناقة تذبح وتتححر، وينشنه يتناوله قال تعالى (وأنى لهم التناوش) وأنشد أبو عبيدة لغيلان بن حريث:

⁸ السابغة: الدرع، هتكت فروجها أي خرقتها، والمعلم الذي يسم نفسه في الحرب بعلامة.

⁹ الربذ: السريع الضرب بالقداح، الخفيف اللعب، والقداح السهام، كانوا يقامرون بها وشتا: فعل من الشتا، يشتو. هتاك: قطاع، غايات جمع غاية وهي الرايات ينصبها الخمار ليعرف موضع داره والتجار جمع تاجر وهم الخمارون.

¹⁰ والمهند ما عمل بالهند، وقال أبو عمرو الشيباني النهيد شحذ السيف.

¹¹ ويروى خضب اللبان، ومد النهار أي غاية النهار والعظم صبغ أحمر تتخذة العرب.

¹² السرحة: الشجرة، والسبت بكسر السين النعال اليمانية المدبوغة بالقرظ لا شعر عليه، وأما السبت بالضم فنبت يشبه الخطمي. قال حسان بن

ثابت: وأرض يحاربها المدلجون ترى السبت فيها كركن الكئيب

والسبت أيضا بالضم ما قطر من الثلوج قال الشاعر: كأن دموع العين يوم ترحلوا جمال تهادى خال في السلك أو سبت

ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى
 في حومة الموت الذي لا تشتكي
 إذ يتقون بي الأسنة لم أحم
 لما رأيت القوم أقبل جمعهم
 يدعون عنتر والرماح كأنها
 ما زلت أرميهم بثغرة نحره
 وازورَّ من وقع القنا بلبانه
 لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
 والخيل تقتحم الخبار عوابسا
 ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها

إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم²
 غمراتها الأبطال غير تغمغم³
 عنها ولكني تضايق مقدمي⁴
 يتذامرون كررت غير مذمم⁵
 أشطان بئر في لبان الأدهم⁶
 ولبانه حتى تسربل بالدم⁷
 وشكا إلي بعبرة وتحمم⁸
 وكان لو علم الكلام مكلمي⁹
 من بين شيطمة وأجرد شيطم¹⁰
 قيل الفوارس ويك عنتر أقدم¹¹

¹ مخبئة: مفعلة من الخبث.

² تقلص بكسر اللام وضمها، ووضح الفم يعني به أسنانه.

³ ويروى الذي لا يشتكي والحومة من كل شيء معظمه وشدته، ويتقيك يتستر، والغمرة الشدة، والغمرات جمع غمرة وجمعت بالتحريك للتفريق بين الأسماء والصفات كما تجمع جفنة جفنا، وعيلة عيلات، وفي النعت عيلات بإسكان الباء، وكان النعت أحق بالإسكان لأنه أنقل إذا كان ثانياً، والعيل الممتلى، والعبلاء: الهضبة البيضاء. وامرأة عبلاء: إذا كانت بيضاء، والتغمغم صوت تسمعه، ولا تفهمه.

⁴ ويروى نسابق مقدمي، ولم أحم، لم أنكل، ولم أضعف، ولم أجبن، ولم أعدل عنها وهو من خام يخيم؛ إذا أصاب رجله كسر.

⁵ أي حملت عليهم غير مذموم، وقوله لما رأيت القوم أقبل جمعهم أي قد أقبل فحذف قد، وقوله يتذامرون أي يحض بعضهم بعضاً وغير منصوب على الحال كأنه قال كررت مخالفاً للمذمة، ويتذامرون موضعه في محل نصب على الحال، وأقبل جمعهم حال القوم.

⁶ ويروى عنتر وعنتر بالضم والفتح فمن فتح الرء رخم عنتره وترك ما قبل المحذوف على حاله مفتوحاً ومن ضمها احتمل وجهين أحدهما أن يكون قد جعل ما بقي اسماً على حاله لأنه قد صار كحروف الإعراب. والوجه الثاني ما رواه المبرد عن بعضهم إنه كان يسميهم عنترًا، فعلى هذا الوجه لا يجوز إلا الضم، ويجوز أن يكون عنترًا في هذا الوجه منصوباً بيدعون. والواو في قوله والرماح واو الحال. والأشطان جمع شطن وهو حبل البئر يريد أن الرماح في صدر هذا الفرس بمنزلة حبال البئر من الدلاء؛ لأن البئر إذا كانت كبيرة كثيرة الورد، فقد اضطربت الدلاء فيها فيجعل فيها حبلان لئلا تضطرب واللبن الصدر. والأبيات مثله:

يدعون عنتر والسيوف كأنها	برق تلالاً في سحاب مظلم
يدعون عنتر والدروع كأنها	حدق الضفادع في غدِير نجم
يدعون عنتر والنبال كأنها	طش الجراد على المنادح حوم
يدعون عنتر والوغي ترمي بهم	والموت نحو لواء آل محلم
كيف التقدّم والرماح كأنها	برق تلالاً في السحاب الأركم؟
كيف التقدّم والسيوف كأنها	غوغا جراد في كئيب أهيم؟

⁷ يقول عن فرسه، ويروى بثغرة نحره، واللبن: الصدر تسربل صار بمنزلة السربال وهو القميص.

⁸ ازور مال، شكا إلي (مثل) يقول لو كان ممن تصح منه الشكاية لشكا. والتحمم صوت متقطع ليس بالصهيل.

⁹ المحاورة المراجعة ويحاور محاورة وحوارا وهو اسم تام، والمحاورة خبر لمبتدأ وما في موضع رفع مبتدأ وخبره في موضع نصب بقوله يدري. وقوله وكان جاء باللام فإنه محمول على المعنى. والتقدير لو كان يدري ما المحاورة لاشتكى، وهو عطف جملة على جملة.

¹⁰ شيطم = الطويل ، الأجرد = قليل الشعر

¹¹ ويك عنتر = ويلك عنتر ، أن تعويل أصحابه عليه والتجاؤهم إليه شفى نفسه ونفى غمه.

قس بن ساعدة

وفي سيرة ابن سيد الناس بسنده إلى ابن عباس قال: قدم الجارود بن عبد الله، وكان سيدياً في قومه على رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الإنجيل، ولقد بشر بك ابن البتول؛ فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله. قال: فأمن الجارود وأمن من قومه كل سيد. فسر النبي ﷺ بهم، وقال: يا جارود، هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قساً؟ قالوا: كلنا نعرفه يا رسول الله، وأنا من بين يدي القوم كنت أفتو أثره، كان من أسباط العرب فصيحاً، عمر سبعمئة سنة، أدرك من الحواريين سمعان، فهو أول من تأله من العرب - أي: تعبد - كأني أنظر إليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله؛ ثم أنشأ يقول:

هاج للقلب من جواه ادكار ... وليالٍ خلالهن نهار

في أبيات آخرها:

والذي قد ذكرت دل على الله ... نفوساً لها هدى واعتبار

فقال النبي ﷺ: على رسلك يا جارود، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورك، وهو يتكلم بكلام ما أظن أني أحفظه. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، فإني أحفظه: كنت حاضرًا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته: يا أيها الناس اسمعوا وعوا، فإذا وعيتم فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت.. إلى آخر ما أورده من الوعظ.

والذي في كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني: عاش قس بن ساعدة ثلاثمئة وثمانين سنة وقد أدرك نبينا ﷺ، وسمع النبي ﷺ حكمته؛ وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية، وأول من توكأ على عصا، وأول من قال، أما بعد. وكان من حكماء العرب. وهو أول من كتب من فلان إلى فلان ابن فلان.

وقال المرزباني: ذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمئة سنة.

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين قساً وقومه وقال: إن له ولقومه فضيلة ليست لأحد من العرب؛ لأن رسول الله ﷺ روى كلامه وموقفه على جملة بعكاظ وموعظته. وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه. وهذا شرف تعجز عنه الأماني، وتنقطع دونه الآمال. وإنما وفق الله ذلك لقس لاحتجاجه للتوحيد؛ ولإظهار الإخلاص، وإيمانه بالبعث ومن ثم كان قس خطيب العرب قاطبة.

وفي نسبه خلاف. فقيل قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر وقيل حذافة بن زهر بن إياد بن نزار.

وقيل هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن ايدعان بن النمر بن وائلة بن الطشان بن عوذ بن مناة بن يقدم بن أقصى بن ديمي بن إياد.

وقيل: هو ابن ساعدة بن عمرو بن شمر بن عدي بن مالك والله أعلم.¹

الخطبة الشهيرة في سوق عكاظ قس بن ساعدة:

ومن خطباء إياد قس بن ساعدة، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: رأيت بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول:

أيُّها الناس اجتمعُوا واسمعُوا وعُوا، مَنْ عاش مات، وَمَنْ مات فَات، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ، وهو القائل في هذه: آياتٌ محكمات، مطرٌ ونبات، وآباءٌ وأمّهات، وذاهبٌ وآت، ضوءٌ وظلام، وبرٌّ وأثام، ولباسٌ ومركب، ومطعمٌ ومشرب، ونجومٌ تمور¹، وبحورٌ لا تغور²، وسقفٌ مرفوع، ومهادٌ موضوع، وليلٌ داخ³، وسماءٌ ذات أبراج، ما لي أرى الناسَ يموتون ولا يرجعون، (ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون) أرضوا فأقاموا، أم حُبِسُوا فناموا، وهو القائل: يا معشَرَ إِياد، أينَ ثمودُ وعاد، وأينَ الآباءُ والأجداد، أينَ المعروفُ الذي لم يُشكر، والظُّلم الذي لم ينكر، أقسمَ فسُ قسماً بالله، إنَّ للهَ لديناً هو أرضى له من دينكم هذا، (فطوبى لمن أدركه فاتبعه، وويل لمن خالفه). وأنشدوا له: مجزوء الكامل

في الذاهبين الأولي ... نَ مِنَ القرون لنا بصائرُ

لما رأيتُ موارداً ... للموت ليس لها مَصادرُ

ورأيتُ قومي نحوها ... يَمضي الأصاغر والأكابرُ

لا يرجع الماضي ولا ... يَبقى من الباقيين غاير⁴

أيقنتُ أي لا محالة ... حيثُ صارَ القومُ صائر⁵

عمرو بن كلثوم

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، أبو الأسود (توفي 39ق.هـ/584م)، من بني وائل. شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، من الطبقة الأولى، ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة وتجوّل فيها وفي الشام والعراق ونجد. أمه هي ليلي بنت المهلهل بن ربيعة كان من أعز الناس نفساً، وهو من الفتاك الشجعان، ساد تغلب، وهو فتىٌ وعمّر طويلاً. هو قاتل الملك عمرو بن هند ملك المناذرة. وذلك أن أم عمرو بن هند ادعت يوماً أنها أشرف نساء العرب فهي بنت ملوك الحيرة وزوجة ملك وأم ملك فقالت إحدى جلساتها: "ليلى بنت المهلهل أشرف منك فعمها كليب وأبوها المهلهل سادة العرب وزوجها كلثوم بن مالك أفرس العرب وولدها عمرو بن كلثوم سيد قومه" فأجابتها: " لأجعلنها خادمة لي". ثم طلبت من ابنها عمرو بن هند أن يدعو عمرو بن كلثوم وأمه لزيارتهم فكان ذلك. وأثناء الضيافة حاولت أم الملك أن تنفذ نذرها فأشارت إلى جفنة على الطاولة وقالت " يا ليلي ناوليني تلك الجفنة" فأجابتها: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها" فلما ألحت عليها صرخت: "يا ويلي يا لذل تغلب" فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم وكان جالساً مع عمرو بن هند في حجرة مجاورة فقام إلى سيف معلق وقتله به ثم أمر رجاله خارج القصر فقاموا بنهبه.

أشهر شعره معلقته التي مطلعها "ألا هبي بصحنك فأصبحينا"، يقال: إنها في نحو ألف بيت وإنما بقي منها ما حفظه الرواة، وفيها من الفخر والحماسة العجب، مات في الجزيرة الفراتية. وقد اشتهر بأنه شاعر القصيدة الواحدة لأن كل ما روي عنه معلقته وأبيات لا تخرج عن موضوعها.

1- تمور = تذهب وتجيئ

2 - لا يفد ماؤها

3 مظلم

4 الباقي

5 - البيان والتبيين لجاحظ : ج-1 ص- 91

وصية عمرو بن كلثوم

أوصى عمرو بن كلثوم التغلبي فقال: يا بني، إنني قد بلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائي وأجدادي، ولا بد أن ينزل بي ما نزل بالأباء والأجداد والأمهات والأولاد (من الموت)، فاحفظوا عني ما أوصيكم به . إنني والله ما عيرت رجلاً قط أمراً إلا عير بي مثله إن حقاً فحقاً، وإن باطلاً فباطلاً . ومن سب سُب، فكفوا عن الشتم؛ فإنه أسلم لأعراضكم، وصلوا أرحامكم تعمر داركم، وأكرموا جاركم يحسن ثناؤكم، وامنعوا من ضيم الغريب، فرب رجل خير من ألف، وود خير من خُلف، وإذا حدثتم فعوا وإذا حدثتم فأوجزوا؛ فإن مع الإكثار يكون الإهذار، واعلموا أن أشجع القوم العطوف بعد الكر، كما أن أكرم المنايا القتل، (وخير الموت تحت ظلال السيوف)، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب، ولا فيمن إذا عوتب لم يعتب، ومن الناس من لا يرجي خيره ولا يخاف شره فبكوه¹ خير من دره، وعقوقه خير من بره، ولا تتزوجوا في حيكم فإنه يؤدي إلى قبيح بغض².

الحكم والأمثال

1- الحكم:

من الحكم النثرية:

" رب عجلة تهب ريثاً " و " رب ريث يعقب فوتاً " و " رب أخ لم تلده أمك " و " رب ملوم لا ذنب له " و " وأزهي من الغراب " و " أول حزم المشورة " و " من طلب شيئاً وجدته " . و " من مامنه يؤتى الحذر " و " رضى الناس غاية لا تدرك " و " كلم اللسان أنكأ من كلم الحسام " و " من سلك الجدد أمن من العثار " .

ومن الحكم الشعرية:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه	ولو نال أسباب السماء بسلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه	ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ستبدي لك الأيام ما كان جاهلاً	ويأتيك بالأخبار من لم تزود
وإن باب أمر عليك التوى	فشاور لبيبا ، ولا تعصه .

2- الأمثال:

من الأمثال النثرية:

تجشأ لقمان من عير شبع (للرجل الذي يظهر الغنى وهو فقير)

1 قلّ لبنها

2 المعنى اللغوي :

إنّ خاطبكم شخص ما بكلام فافهموا ما يوجه إليكم من حديث ، وإن كنتم المنكلمين ؛ فالجأوا للإختصار في ملامكم ولا تطيلوا ؛ لأنّ الإطالة تقود إلى لغو الحديث وفارغه ، وكلما تصور الإنسان أن ما يصيبه من حزن قد بلغ الغاية ، إلا واكتشف أن هناك ما هو أدهى ، وأكثر ألماً ، وعجائب الدنيا لا تتقضي ، ولا تكمل ، والعاقلة من لا يندفع بها ، وأفضل ميته للإنسان في ساحة الوغى ؛ لأنها ميته الشجعان والأبطال، وبعض الناس غير مؤثرين في حياة الآخرين ؛ فلا تكونوا مثلهم ، بل كونوا من الذين ينتظر منهم الناس الفضل ، وينتبه الناس لأمرهم ، جعلكم الله من هؤلاء ، ونجّاكم من كل شرّ

رجع بخفي حنين. \ ويقال : أخيب من حنين. (عند اليأس من حاجة، والرجوع الى الخيبة)

رب رمية من غير رام . (للمخطئ يصيب أحياناً)

مواعيد عرقوب. \ يقال : أخلف من عرقوب. (للذي يخلف مواعيده)

استنوق الجمل. (للرجل الواهن الرأي، المخطئ في كلامه)

إن كنت ريحاً فقد لاقيت إصصاراً.¹ (للقوي الذي يلقي أقوى منه)

رمتني بدائها وانسلت (لمن يعيب على غيره بما يعاب هو فيه)

ذكرني فوك حماري أهلي. (للرجل يبصر الشيء فيذكر به حاجة كان قد نسيها)

ومن الأمثال الشعرية:

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاق الذي لاقى مجير أم عامر²

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول مالت حذام³

أبا منذر أفنيت فاستيق بعضنا حناتيك بعض الشر أهون من بعض⁴

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها إن كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا⁵

خطبة النبي في حجة الوداع

ألقاها الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم عرفة من جبل الرحمة وقد نزل فيه الوحي مبشراً أنه "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحتكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير.

أما بعد أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا – ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وقضى الله أنه لا ربا. وإن أول ربا أبدأ به عمي العباس بن عبد المطلب. وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمدة ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية – ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

¹ الريح الشديد يثير الغبار

² أم عامر = الضبعة

³ مادة حذم، يضرب في التصديق

⁴ أبو منذر = عمرو بن هند ملك الحيرة ، يضرب عند ظهور الشرين بينهما تفاوت

⁵ يضرب في التحريض على استئصال شأفة الشر

أما بعد أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحرقون من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس إنما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليوطنوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله. وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان - ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

أما بعد أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق. لكم أن لا يواطئن فرشهم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً - ألا هل بلغت... اللهم فاشهد.

أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال لأخيه إلا عن طيب نفس منه - ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

فلا ترجعن بعدى كافراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد.

أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى - ألا هل بلغت... اللهم فاشهد قالوا نعم - قال فليبلغ الشاهد الغائب . أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لو ارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من ثلاث، والولد للفراش وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل. والسلام عليكم.

كعب بن زهير (رضي الله عنه) - ? 26 هـ - ? / 646م،

كعب بن زهير بن أبي سلمى، المزني، أبو المضرّب شاعر مخضرم. عالي الطبقة، كان ممن اشتهر في الجاهلية ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ، وأقام يشيب بنساء المسلمين، فأهدر النبي ﷺ، دمه فجاءه كعب مستأماً وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول، فعفا عنه النبي ﷺ، وخلق عليه بردته. وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوام كلهم شعراء. وقد كُتِرَ مخمّسو لاميته ومشطروها وترجمت إلى غير العربية.

تلقن كعب الشعر عن أبيه مثله مثل أخيه بجير، وكان زهير يحفظهم الشعر ومنه شعره ويقولون عن كعب أنه كان يخرج به أبوه إلى الصحراء فيلقي عليه بيتاً أو شطراً ويطلب أن يجيزه تمريناً ودرّبه، كما أن كعباً كان في عصر ما قبل الإسلام شاعراً معروفاً أكثر من الحطيئة. حاول زهير أن ينظم الشعر منذ حدثته فردعه أبوه، مخافة أن يتسقل ويأتي بالضعيف فيشوّه مجد الأسرة، وما زال يهدّب لسانه ويجهّز شاعريته برواية الشعر حتى استقام له النظم.

تاريخ مولد شاعر الإسلام كعب بن زهير مجهول تقريباً. إلا أن كثيراً من مراجع التاريخ والأدب أكدت أن كعب بن زهير بن أبي سلمى توفي نحو سنة 662م / 24 هـ.

أشهر آثاره

لكعب ديوان غير مطبوع، ليس إلا المقطوعات القصيرة التي نُظمت في الأغراض المعروفة من مديح وغزل وهجاء ورتاء وما إلى ذلك. أما أجود شعر له بالاتفاق فهو قصيدته (بانة سعاد) التي تدعى أيضاً (البردة) والتي تعد من المشوبات، وهي لامية من البحر البسيط لا تتجاوز 58 بيتاً وقد صار لتلك القصيدة شهرة واسعة، وتناولها العلماء بالشرح والتفسير، كما تناولها الشعراء فشطروها وخمّسوها وعارضوها. أما أقسام القصيدة، فهي تقسم إلى ثلاثة أقسام:

من البيت 1 إلى 12 توطئه غزلية على عادة الشعراء الأقدمين.

و من البيت 13 إلى 33 وصف الناقة التي تبلغ بالشاعر إلى المحبوبة.

و من البيت 34 إلى 58 اعتذار ومدح للنبي محمد ﷺ والمهاجرين.

قال الفخوري حول البردة (قصيدة بانة سعاد): "ما زالت البردة في أهله حتى اشتراها معاوية منهم، وتوارثها الخلفاء الأمويون فالعباسيون حتى آلت مع الخلافة إلى بني عثمان". قال الهاشمي أيضاً حول ما آلت إليه بردة النبي عليه الصلاة والسلام: "بقيت في أهل بيته حتى باعها لمعاوية بعشرين ألف درهم، ثم بيعت للمصور العباسي بأربعين ألفاً".

أما الذين شرحوها فكثيرون منهم ابن دريد، والتبريزي، وابن هشام، والباجوري، والسيوطي، وقد طبعت مراراً في الشرق وفي أوربة، تارة على حدة وتارة في مجامع أدبية. طبعت في لندن سنة 1748م، ثم في ليبسيك سنة 1871م، ثم في برلين سنة 1890م، ثم في باريس وقسطنطينة سنة 1904م؛ وطبعت في بيروت سنة 1931م وترجمت إلى لغات كثيرة منها اللاتينية، والفرنسية، والألمانية، والانجليزية، والإيطالية، والفارسية

قصيدة بانة سعاد:

بانة سعادُ قلبي اليوم متبولٌ	متيمٌ إثرها لم يفد مكبولٌ
وما سعادُ غداة البين إذ رحلتُ	إلا أغنُ غضيضُ الطرف مكحولٌ
تجلو العوارض ذي ظلم ، إذا ابتسمت	كأنه منهل بالراح ، معلول
إخالها خلة ، لو أنها صدقت	موعودها ، أو لو أن النصح مقبول
فلا يغررُ نك ما مننتُ وما وعدتُ	إنّ الأمانِي والأحلامَ تضليلُ
كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلاً .	وما مواعيدُه إلا الأباطيل
أرجو أمل ان تدنو مودتها	وما إخال لدينا منك تنويل
أمست سعاد بأرض لا يبلغها	إلا العتاق النجيبات المراسيل
ليسعى الوشاة جنابيهها وقولهمُ	إتك يا ابن أبي سلمى لمقتولُ
كلُّ ابن أنثى وإن طالت سلامتهُ	يوماً على آله حذباء محمولُ
أنبتتُ أن رسولَ الله أو عدني	والعفو عند رسول الله مأمولُ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة ال	قرآن فيها مواعيطٌ وتفصيلُ

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
 لقد أقوم بأمر لو يقوم به
 لظلاً يرعد إلا أن يكون له
 حتى وضعت يميني لا أنزعهُ
 لذاك أهيب عندي إذ أكلمه
 من خادر من ليوث الأسد مسكنه
 إن الرسول لسيف يستضاء به
 في فتية من قريش قال قائلهم
 زلوا فما زال أنكاس ولا كشف
 شم العرائن أبطال لبوسهم
 لا يفرحون إذا نالت رماحهم
 لا يقغ الطعن إلا في نحورهم

أذنب وإن كثرت في الأفاويل
 أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
 من الرسول بإذن الله تنويل
 في كف ذي نقمات قبلة قليل
 وقيل إنك منسوب ومسؤول
 ببطن عثر غيل دونه غيل
 مهند من سيوف الله مسلول
 ببطن مكة لما أسلموا زلوا
 عند اللقاء ولا ميل معازيل
 من نسج داوود في الهيجا سراويل
 قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
 وما لهم عن حياض الموت تهليل

قصيدة جرير في عبد الملك بن مروان:

أتصحو بل فؤادك غير صاح
 يقول العادلات: علاك شيب،
 يكفني فؤادي من هواه
 طعائن لم يدر مع النصارى
 فبعض الماء ماء رباب مزن
 سيكفيك العوازل أرحبي

عشية هم صحبتك بالروح¹
 أهذا الشيب يمنعي مراحى²
 طعائن يجتز عن على رماح³
 ولا يدرين ما سمك القراح
 وبعض الماء من سبخ ملاح
 هجان اللون كالفرد الليلح

¹ لما انتجع جرير عبد الملك بن مروان بقصيدته المشهورة التي يقول مطلعها:

أتصحو أم فؤادك غير صاح *** عشية هم صحبتك بالروح
 قال له عبد الملك: بل أنت فؤادك غير صاح.

وكان جرير يقصد نفسه؛ حيث جرد منها ذاتاً أخرى، غير أن عبد الملك - وهو البصير النقاد الخبير - أراد أن يلفت نظر جرير، وينبهه إلى سوء مطلعها.

ولما وصل جرير إلى قوله:

ألستم خير من ركب المطايا *** وأندى العالمين بطون راح

تهل وجه عبد الملك، وبلغ به الارتياح إلى أن أمر لجرير بعطاء جزل قوامه مائة ناقة وزيادة.

في مطلع القصيدة يقف جرير متسانلاً: أتصحو؟ أي من سرك وشروك وغفلتك؟

أم فؤادك غير صاح؟ لأن ما أذهب عقلك هو أمر أعتى من الخمر وأشد، حيث هم صحبتك بالذهاب، ابتعدوا وبقيت أنت تنظر إليهم يرحلون جمالهم ومتاعهم!! بقيت أنت تنظر وقد ارتحلوا بقلبك!! بقيت أنت تنظر وقد تركوا جسدك ثم واقفا وحملوا روحك ليستروحو بها!!

هم رحلوا وأنت تراوح مكانك فاغرا فاك وقد دمعت مقلتك!!

² ارتحل الصحب وفؤادك لم يصح!! وارتحل الشباب وما زلت في غفلتك لم تصح ولا إخالك تريد أن تصحو!!

الشباب شباب القلب؟؟

³ ما زلت تتبع الطعائن وتتعرض للقوافل تنظر للمحاجر التي حجرت عقلك فلم تصح!!

طعائن مسلمات خفرت محميات عفيفات فعلن بك فعل الخمر وذهب بلبك!!

طعائن بريئات لا يفرقن بين الماء العذب والماء المالح!!

يعز على الطريق بمنكبيه
تعتز أم حزره ثم قالت
ثعلل، وهي ساغبة، بينها
سامتأح البحور، فجنيني
تقي بالله ليس له شريك،
أعتني يا فداك أبي وأمي
فإني قد رأيت علي حقاً
سأشكر أن رددت علي ريشي
ألستم خير من ركب المطايا
وقوم قد سموت لهم فدأوا
أبحت حمى تهامة بعد نجد
لكم شم الجبال من الرواسي
دعوت الملحين أبا حبيب
فقد وجدوا الخليفة هيرزياً
فما شجرات عيصك في قریش
رأى الناس البصيرة فاستقاموا

كما ابترك الخلیع على القداح¹
رأيت الواردين ذوي امتناح
بأنفاس من الشيم القراح
أذاة اللوم وانتظري امتياحي
ومن عند الخليفة بالنجاح
بسيب منك إنك ذو ارتباح
زيارتی الخلیفة وامتداحي
وأثبتت القوادم في جناحي
و أندی العالمین بطون راح
بدهم في مللة رداح
وما شيء حميت بمستباح
وأعظم سيل معتلج البطاح
جماحاً هل شفيت من الجماح
ألف العيص ليس من التواحي
بعشاة الفروع ولا ضواحي
و بينت المراض من الصحاح

زياد بن أبيه

زياد بن أبيه قائد عسكري في عهد الخلافة الراشدة، و سياسي أموي شهير ارتبط اسمه بمعاوية بن أبي سفيان، و ساهم في تثبيت الدولة الأموية. و لد في السنة الهجرية الأولى. أمه سمية كانت جارية الحارث بن كلدة الطبيب الشهير. عمل كاتباً لأبي موسى الأشعري و نبغ في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، و قيل فيه أنه كان يمكن أن يسوق الناس لولا نسبه المجهول، فقيل أن أبا سفيان بن حرب أقر بينوته، و قال لأحد الطاعنين فيه: "ويحك، أنا أبوه."

و في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب تولى زياد ولاية فارس وكرمان والبصرة، فلما أراد معاوية بن أبي سفيان أن يستميله إليه ليستعين به على مناوئيه، و يمنعه من معاونة الحسن بن علي، أبي زياد، فلجأ معاوية إلى الحيلة، و ذكر ما كان من أمر أبيه يوماً، و مقالته في زياد، فأرسل إليه أنه سيقرب بنسبته إلى أبيه، و يصبح اسمه زياد بن أبي سفيان، فوافق زياد، و قدم على معاوية الذي ولاه البصرة والكوفة و كان ذلك سنة 44 هـ.

و لم يعجب هذا العمل السياسي خصوم معاوية، فتمسكوا بتسمية زياد بن أبيه و هاجموا معاوية بالشعر، و من أشهر ما هوجم به مقالة يزيد بن المفرغ الحميري: ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليماني أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني؟ فاشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتاني.

كان جباراً، ميلاً إلى سفك الدماء، وهو أول من فرض حظر التجول في الإسلام. كما أن زياد بن أبيه كان خطيباً مفوهاً له جمهرة خطب أشهرها البتراء التي سميت بذلك لأنها لم تبدأ بذكر الله.

¹ حتى إذا ما صحا من غزله ركب جملة ورحل لا يلوي على شيء!!

خطبة زياد بن أبيه حين قدم البصرة سنة 45هـ واليا لمعاوية بن أبي سفيان:

أما بعد: فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي الموفي بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور التي يشب فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير!

كأنكم لم تقرأوا كتاب الله_ ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكبير لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل

ألم يكن منكم نهية تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وبعادتم الدين تعذرون بغير العذر وتغضون على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سفيبه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونه حتى انتهكوا حرم الإسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماء وإحراقا إلى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله لين في غير ضعف وشدة في غير عنف

وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولي والمقيم بالطاعن والمقبل بالمدير والمطيع بالعاصي والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أو تستقيم لي قناتكم إن كذبة المنبر بلقاء مشهورة فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها في واعلموا أن عندي أمثالها من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه فيايي ودلج الليل فإني لا أوتي بمدلج إلا سفكت دمه وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم وإيبي ودعوى الجاهلية فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه وقد أحدثتم أحداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه ومن أحرق قوما أحرقناه ومن نقب بيتنا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرنا دفناه حيا فيه فكفوا عني أيديكم وألسنتكم أكف عنكم يدي ولساني ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه وقد كانت بيني وبين أقوام إحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا ومن كان منكم مسيئا فليززع عن إساءته إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم أهتك له سترا حتى يبدي لي صفحته فإذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبنس بقدمنا سيسر ومسرور بقدمنا سيبتس.

أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة و عنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا واعلموا أنني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانة ولا مجمرا لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لأنتمكم فإنهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذي إليه تاوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشرّبوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا له حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم أسأل الله

أن يعين كلا على كل وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله وإيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعى¹.

عبد الحميد الكاتب

عبد الحميد الكاتب (؟ 132 هـ - ؟ 749 م). عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب القرشي، من أعلام الكتاب في القرن الثاني للهجرة، فارسي الأصل عربي الولاء. نشأ في الأنبار أو الشام على خلاف بين المؤرخين. وظهر في بداية أمره مساعداً لصهره سالم صاحب ديوان الرسائل في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، ثم عمل بعد ذلك كاتباً لمروان بن محمد والي أرمينيا وأذربيجان، ثم عمل أخيراً كاتباً أول للدولة الأموية على عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية. ولكنه قتل مع مروان بن محمد سنة 132 هـ. على يد العباسيين عندما تولوا الحكم.

يُعد عبد الحميد من أبرز الكتاب في تاريخ النثر العربي؛ فهناك شبه إجماع بين المؤرخين والنقاد على أنه كان صاحب مدرسة جديدة في كتابة الرسائل في النثر العربي عمادها مايلي: 1- الازدواج، أي إيراد عبارات متعددة متقاربة في المعنى لتوكيد فكرته، ولإشاعة جو من التنغيم الموسيقي الجميل في كتاباته. 2- الإطناب في رسائله 3- الإطالة في تحميدات رسائله. 4- الإكثار من الوصف بالحال 5- قصر الفواصل على طريقة الخطابة. 6- توسيع أغراض الرسائل، لتشمل بعض الأغراض التي كانت - قبله - خاصة بالشعر، مثل التعزية والتهنئة والنصح والوصف وغيرها. وقد تأثر بهذه المدرسة عدد كبير من الكتاب الذين جاءوا بعده. وبالرغم من أننا لا نملك ديواناً خاصاً برسائله، إلا أن كتب الأدب قد حفظت لنا قدرًا طيباً من رسائله الديوانية والإخوانية، لعل من أهمها: 1- رسالته إلى الكتاب، وفيها يبدو تأثره بما أثير من وصايا ملوك الفرس لكتابهم، 2- رسالته التي كتبها إلى عبدالله بن مروان على لسان أبيه، 3- رسالته في وصف الصيد والشطرنج، 4- رسالته إلى أهله وهو منهزم مع مروان بن محمد.

ويعد عبد الحميد أبلغ كتاب الدواوين في العصر الأموي، حتى صارت بلاغته مضرب المثل، فقد قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد.

رسالة عبد الحميد الكاتب لأهله وهو منهزم مع مروان

أما بعد .. فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور ، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها ، ومن عضته بنابها ذمها ساخطاً عليها ، وشكاها مستزيداً لها ، وقد كانت أذاقتنا أفويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرة ، ورمحتنا مولية ، فملح عذبها ، وخشن لينها ، فأبعدتنا عن الأوطان ، وفرقتنا عن الإخوان ، فالدار نازحة ، والطير بارحة.

¹ فقام إليه عبد الله بن الأهم قال: أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب . فقال له: كذبت ذاك نبي الله داود صلوات الله عليه . فقام الأحنف ابن قيس فقال: إنما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وإنما لن ننثي حتى نبتلي . فقال له زياد: صدقت . فقام أبو بلال مرداس ابن أدية وهو يهمس ويقول أنبأنا الله بغير ما قلت قال الله تعالى "وإبراهيم الذي وفي ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى" وأنت تزعم أنك تأخذ البريء بالسقيم والمطيع بالعاصي والمقبل بالمدبر فسمعها زياد . فقال إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً.

وقد كتبت والأيام تزيدينا منكم بعداً ، وإليكم وجداً ، فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا، وإن يلحقنا ظفر جارح من أظفار عدونا نرجع إليكم بذل الإسار ، والذل شر جار. نسأل الله تعالى الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء ، أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة ، في دار أمانة ، تجمع سلامة الأبدان والأديان، فإنه رب العالمين وأرحم الراحمين.

المراجع والمصادر

1. المؤلف : حنا الفاخوري الكتاب: الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل بيروت -لبنان
2. المؤلف :أحمد الهاشمي الكتاب: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب مكتبة مشكاة الإسلامية
3. المؤلف : جورج زيدان الكتاب: تاريخ الأدب العربي
4. المؤلف : المرزباني الكتاب : معجم الشعراء
5. المؤلف : الميداني الكتاب : مجمع الأمثال
6. المؤلف : الجاحظ الكتاب : البيان والتبيين
7. المؤلف : المفضل الضبي الكتاب : المفضليات
8. المؤلف: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي الكتاب : أمثال العرب المحقق : إحسان عباس الناشر : دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان الطبعة الاولى 1401هـ = 1981م ، الطبعة الثانية 1403هـ = 1983م عدد الأجزاء : 1
9. الكتاب : ديوان عنتر بن شداد مصدر الكتاب : موقع أدب www.adab.com
10. المؤلف : أبو زيد القرشي الكتاب : جمهرة أشعار العرب

<http://www.afdhl.com/poem/cat-50005.html> -11

<http://www.yabeyrouth.com/pages/index2466.htm> -12

[/http://www.orsozox.com/forums/f143/t58363](http://www.orsozox.com/forums/f143/t58363) -13

<http://www.johina.net/vb/showthread.php?t=51611> -14

<http://www.sudantop.com/vb/t21805.html> -15

<http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=5dc25e954d351001> -16

فهرس الكتاب

صفحة	الموضوع
5	الأدب الكلاسيكي والغرض من دراسته العصر الأول عصر الجاهلية حالة اللغة وأدائها في ذلك العصر: ينقسم كلام العرب قسمين:
6	الشعر
7	الوحدة الأولى القسم الأول الشعر الجاهلي: نشأتها وتطورها:
8	شكل القصيدة الجاهلية: مصادر الشعر الجاهلي ومراكزه: مراكز الشعر العربي:
9	أغراض الشعر الجاهلي
10	خصائص الشعر الجاهلي :-
11	منزلة الشاعر: المعلقات قيمة الشعر الجاهلي : طبقات الشعراء: أهم شعراء المعلقات:
12	امرؤ القيس الكندي، زهير بن أبي سلمى، النابغة الذبياني، الأعشى الأكبر (أعشى القيس) ، ليبيد بن ربيعة العامري ،طرفه بن العبد البكري ، حارث بن حلزة ، عمرو بن كلثوم:
18	شعراء الفرسان: شعراء الصعاليك :- القسم الثاني : النثر في العصر الجاهلي الخطابة.
19	أسباب ازدهار الخطبة في العصر الجاهلي:
20	الوصايا: خصائص أسلوب الوصية: الفرق بين الوصية والخطبة :- الأمثال أنواع المثل : المثل صوت الشعب: الخصائص الفنية للأمثال
21	من حكم العرب في الجاهلية اسباب انتشارها:- الخصائص الفنية لأسلوب الحكمة: الحكمة صوت العقل: نماذج من حكم العرب في الجاهلية:

- 22 النثر المسجوع أو سجع الكهان:
فمن مميزاته:
الرواية _ الرواة
- 24 الوحدة الثاني
الأدب في عصر صدر الاسلام
مفهوم أدب عصر صدر الإسلام:
مصادر الأدب في عصر صدر الإسلام:
القسم الأول: الشعر والشعراء في هذا العصر
أغراض الشعر وفنونه
25 الشعراء المخضرمون:
أشهر الشعراء المخضرمين:
أبوظالب ، حسان بن ثابت ، كعب بن زهير ، الخنساء:
أبيد بن ربيعة العامري . الحطيئة ، - النابغة الجعدي
- 30 موقف الإسلام من الشعر
- 31 حال الشعر في صدر الإسلام
أسلوب الشعر في صدر الإسلام
- 32 القسم الثاني :
النثر في عصر صدر الإسلام
حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر:
- 33 القرآن
السور المكية والمدنية:
لغة القرآن ، إعجاز القرآن ، أسلوب القرآن ، خصائص أسلوب القرآن ،
القرآن الكريم وأثره في اللغة ، جمع القرآن وكتابه
- 35 الحديث النبوي
وظيفة الحديث ، خصائص أسلوب الحديث ، مميزات الحديث ، نماذج من جوامع الكلم.
- 36 أثر الإسلام في اللغة والأدب:
37 الخطابة والكتابة
الخطابة في هذا العصر والخطباء
- 39 الوحدة الثالث
الأدب في العصر الأموي
الفنون الأدبية في العصر الأموي
القسم الأول: الشعر في العصر الأموي
اتجاهات الشعر في العصر الأموي:
الشعر السياسي:
40 الشعر الغزلي
41 عمر بن أبي ربيعة
قيس بن الملوح بن مزاحم العامري مجنون ليلى

- 42 أبو صخر الهذلي
- 43 شعر النقائض
- 44 أهم عوامل ظهورها
- الخصائص الفنية لهذه النقائض:
- عيوب النقائض ومحاسنها:
- 45 موقف النقاد من شعر النقائض:
- ومن قول الفرزدق في جرير :
- 47 لمحة عن حياة بعض شعراء النقائض
الفرزدق: جرير: الأخطل
- 48 شعر الزهد
- خصائص الشعر الأموي من حيث ، المعاني والأفكار ، الصور والأخيلة، الألفاظ والعبارات.
الأسباب التي أدت إلى ازدهار الشعر في العصر الأموي فهي :
- أعلام الشعراء في العصر الأموي
- 50 القسم الثاني : النثر في العصر الأموي
- مظاهر تطور النثر في العصر الأموي:
- الخطابة والمناظرات
- 52 خصائص الخطابة في العصر الأموي:
- أعلام الخطباء في العصر الأموي:
- 54 الكتابة الإنشائية
- 1- كتابة الرسائل والدواوين ، مميزات الكتابة الإنشائية ،
- الكتاب: عبد الحميد بن يحيى الكاتب
- 56 1- التدوين والتصنيف
- تطور الكتابة

DETAILED STUDY

- 58 امرؤ القيس
- 59 معلقة امرؤ القيس
- 61 عنتره بن شداد
- 62 معلقة عنتره بن شداد العبسي:
- 65 قس بن ساعدة
- الخطبة الشهيرة في سوق عكاظ- قس بن ساعدة:
- 66 عمرو بن كلثوم
- 67 وصية عمرو بن كلثوم
- الحكم والأمثال

- 68 خطبة النبي في حجة الوداع
 69 كعب بن زهير (رضي الله عنه)
 70 قصيدة بانث سعاد:
 قصيدة جرير في عبد الملك بن مروان:
 72 زياد بن أبيه
 73 خطبة زياد بن أبيه حين قدم البصرة سنة 45هـ واليا لمعاوية بن أبي سفيان:
 74 عبد الحميد الكاتب
 رسالة عبد الحميد الكاتب لأهله وهو منهزم مع مروان
 75 المراجع والمصادر
 76 فهرس الكتاب